استشراق، استكشاف
تبشير، احتلال

تشكل عناوين هذا الفصل الأساس والبرنامج التوراتي الذي استقى منه الغرب القديم لاهوته الجاهل على يد كهنته وساسته وملوكه وأمرائه، الذين تشربوا مبادئهم ومناهجهم وممارساتهم الاستعمارية العدوانية والاستيطانية من النصوص المنحولة في الرواية الكتابية للعهد القديم، التي أباحت لهم سلب الآخر ونهبه واستعباده واحتلال أرضه واحتقاره، من الشعوب غير الأوروبية البيضاء، لأن مدوّنو التوراة المحرفة اعتبروها شعوباً من درجات أدنى: شعوباً إباحية متوحشة، ملعونة إلهياً ونجسة عرقياً وتكوينياً. اختار الإله لنفسه ابناً وشعباً مختاراً شرع له استباحتها وتحريمها وحرقها بالنار وإبادتها وسلب ممتلكاتها ووراثة أراضيها وثرواتها؛ هذا ما تقوله الأسطورة التوراتية التي تضمنها (الكتاب المقدس)!

أما مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ورسالة السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم)، التي تدعو للعدالة والمساواة والحق والتسامح والمحبة في الله والسلام، فهي مبادئ ومثل وقيم لا تنطبق إلا على اليهود الصهاينة والشعوب الغربية اللطيفة ذات الجذور الثقافية والحضارية الكتابية التلمودية!

أستطيع القول عن قناعة تامة إن المبادئ الإلهية (الشاذة) الواردة في القصة الخرافية العبرية، جاءت كأسطورة تتناسب في دعواتها العنصرية مع العقلية والنفسية الغربية الطامحة إلى الهيمنة والسيطرة الرأسمالية الربوية ومصالحها التوسعية والاستيطانية، التي تتبناها النخبة الكهنوتية والسياسية المتسلطة على الشعوب الأوروبية، وقواها الشعبية الحرة والإنسانية، وعلى الكنائس المسيحية

المؤمنة، التي لم تستطع الصهيونية العالمية التلمودية اختراقها والسيطرة عليها، ولا يزال عمل هذه النخبة العنصرية ماثلاً أمامنا وشاهداً حياً، فالولايات المتحدة الأمريكية العظيمة اليوم قامت على بحرٍ من دماء الهنود الحمر "سكان القارة الأصليين"، ما سماه المبشرون الأوائل الذين جابوا العالم الجديد يحملون أسفارهم على ظهورهم بـ أرض (كنعان الجديدة). قام الأوروبيون المغامرون والمنبوذون المهاجرون والباحثون عن الذهب وعن الأملاك بإبادة الحضارات القديمة من ثقافات ولغات وفنون وتقاليد، وربما أفنوها تماماً ليصنعوا مجد الغرب الأمريكي الهمجي، معتمدين على نصوص هذه الرواية الكتابية المحرفة للعهد القديم. ويمكننا أن نتساءل هنا: كيف انتقلت (أرض كنعان) فلسطين التاريخية إلى القارة الأمريكية؟

إذاً، (كنعان الجديدة) هذه مجرد فكرة ورمز لكل أرض يقرر الغربيون التلموديون الاستيلاء عليها؛ فكرة متحركة روجوا لها بأدبياتهم، حتى في أفلامهم السينمائية وكتبهم. استخدموا كل الوسائل المتاحة ليقنعوا العالم بمشروعية ما قاموا به، ولا يزال المنطق ذاته يحرك قاطني هذه القارة، حيث البقاء للأقوى وللأكثر استبداداً وليس للأحق، إذ نشهد أن قليلاً جداً ممن بقي من الشعب الأصلي يكافح لاستعادة شذرات من لغته الأم التي مُنع تداولها تماماً لإماتتها، والقليل من تاريخه الأصلي ومن تقاليد دياناته المُبادة من قبل المبشرين المسلحين بدين ونصوص تكفر وتقهر وتجرم كل من لا يندرج تحت لواء كتابها المقدس، الذي دخل للقارة الأمريكية مع سلاح الرجل الأبيض. هذا الأمر لم يحدث فقط في القارة الأمريكية، بل في أستراليا وجميع جزر المحيطات التي أصبحت مستعمرات للإمبراطوريات الأوروبية.

و لا يزال عملها المتوحش في أفريقيا ممعناً في إذلال واستعباد الشعوب الأفريقية وسلبها وإفقارها. وأعمالها الاستبدادية كانت ترجمةً واضحةً لثقافتها الموروثة، فيما تعرضت له جمهورية جنوب أفريقيا من نظام فصل عنصري أوروبي، أنجلوساكسوني، واصلت فيه الإمبريالية البريطانية وحشيتها في العصر الحديث.

وكما يحدث في فلسطين المحتلة اليوم، حيث يقوم الاحتلال الإسرائيلي بمحاولة كبيرة لمحو التاريخ الفلسطيني عن طريق منع تدريسه في أراضي 48، بينما في أراضي 67 والضفة الغربية يدرس التاريخ الفلسطيني من وجهة نظر الملكية الأردنية، وفي غزة يدرس تاريخ مصر وتاريخ فلسطين من وجهة نظر الدولة المصرية. كما تحارب اللغة العربية والتاريخ العربي، ويدرس التاريخ اليهودي وتاريخ الكيان الإسرائيلي والأدب العبري، وبالتالي يدرس تاريخ ولغة المحتل بدلاً من تاريخ سكان البلاد الأصليين في عملية منظمة لمحو الذاكرة القريبة، وربما استبدالها، كما عمل ويعمل على تزوير الذاكرة المغرقة في القدم ليُشرعن عملية الاحتلال.

ومع التقدم العلمي، ولا سيما علم استكشاف وفك رموز اللغات القديمة، وازدياد الوعي والاهتمام بالتراث الإنساني، برز العديد من الباحثين المختصين بالعلوم والمعارف الكتابية، ومنهم من تميز بفكرٍ علمي وموضوعي، لا سيما من الغربيين، من تمتع بروح مهنية عالية، وأثبت من خلال بحثه الموضوعي مخالفة ادّعاءات مزاعم الرواية التوراتية للحقيقة، وعمق تناقضاتها التاريخية والجغرافية المجافية للمنطق والعلم، وتناقضها الواضح مع المكتشفات الأثرية ودلالات رموز اللغات القديمة، لا سيما ما اكتشف في (إيبلا وأوغاريت)، ما دفع إلى إعادة النظر والتفكير بشكل علمي وتطبيقي، إذ إن الإشارات إلى نقض نصوص بعض أسفار العهد القديم بدأت منذ القرن السابع عشر، لكنه كان نقضاً خجولاً ومبطناً. ونظراً لطبيعة العصر والمرحلة حاول دراسة العهد القديم من وجهة نظر تاريخية استدل فيها على إلحاق أسفار في عهود متأخرة، وعلى وضع كلام على لسان موسى لأحداث جرت بعد موته، لكنه كان نقداً مُبشِّراً، حتى إنه وصلَ اليوم لإثارة الكثير من علامات الاستفهام الواضحة حول الرواية الكتابية برمتها.

تبنى أرباب الأنظمة الربوية والإقطاعية السلطوية (ملوك وأمراء ولوردات ونبلاء) الجانب الذي يخدم مصالحهم وأطماعهم وأحلامهم الإمبراطورية التوسعية، ممّا ورد تحريفاً داخل الرواية الكتابية العبرية، وسيطروا على الكهنة الجهلة وأرباب الكنيسة الأوروبية الغربية المتحالفة مع الإقطاع والرأسمالية الربوية، وتوجهوا بالكنيسة بما يخدم مصالحهم المادية والاستعمارية، وابتعدوا بها عن جوهر وروح الدعوة المسيحية الروحية والإنسانية، حيث استطاعوا ولقرون عدة اضطهاد وتجهيل وخداع شعوبهم، لا سيما الطبقات الكادحة منها، عبر رجال اللاهوت والكنائس المتحالفة مع طبقة (الأشراف والملوك والأمراء والنبلاء) المغامرين والمتسلطين والإقطاعيين المتنفذين.

الأنجلوساكسون، وغيرهم من أوروبا الغربية (أسبانيا، فرنسا، إيطاليا، هولندا، بلجيكا، ألمانيا، البرتغال)، لا سيما من بريطانيا الاستعمارية، وصنيعتهم الإمبريالية الجديدة الولايات المتحدة الأمريكية الصهيوأمريكية، جميعهم من مدعي حملة (الكتاب المقدس)، لكنهم جميعاً مارسوا الغزو والسلب والنهب والإبادة والاستعباد والاستيطان لأراضي الغير، واستعمار أرض الآخر باسم الرب (المسيح وصليبه المقدس)، تماماً كما فعل الغزاة من بني إسرائيل بحق الشعوب الأخرى غير اليهودية، التي كانت في أوج حضارتها ومدنيتها وتسامحها في عصرها مع القبائل المتوحشة البدائية من العبرانيين والشعوب الأوروبية! فكما تمت مماريات القبيلة العبرية الهمجية البدائية طبقاً للرواية الكتابية بادّعاء أوامر الرب الخاص (يهوه)، تمت كذلك استباحة الشرق وشن الحروب الفرنجية الهمجية تحت شعار (الحروب المقدسة باسم الرب يسوع)- ويسوع منها براء، لم تسلم قارة ولا شعب مسالم من البطش والظلم والاستعباد واللصوصية والاحتقار على

مدى قرون عديدة على يد الغزاة الغربيين مدعي الحضارة والمدنية وحقوق الإنسان، أصحاب الرسالة الكتابية!

سأحاول في هذا الفصل إثبات تطابق الأقوال والأفعال والممارسات الغربية بحرفية تامة مع ادّعاءات الأسطورة التلمودية وممارسات اليهودية الصهيونية في الماضي (إسرائيل القديمة)، وصورتها طبق الأصل (دولة الاحتلال الصهيونية)، علّنا نضع يدنا على الأسباب الموجبة لهذا التحالف والتبني والتأييد الغربي المطلق لممارسات دولة الاحتلال الصهيونية، على الرغم من الفارق الزمني الكبير بين مزاعم القبيلة العبرانية البدائية المتوحشة، وبين مزاعم أوروبا والقوى الغربية عامةً بتبنيها للحضارة والتمدن وقيم العدالة والديمقراطية.

ارتحلت العصبة العبرانية من موطنها في الصحراء إلى حران الشمالية، ثم من هناك ارتحلت إلى ما أسمته التوراة (أرض غربتهم)، حيث نقلوا معهم عاداتهم وثقافتهم البدائية لتكون بديلاً لثقافة وعادات أهل بلاد غربتهم الأصليين في مرحلة أولى قبل العمل على إبادتهم وتهجيرهم واحتقار ثقافتهم ومدنيتهم وعاداتهم، مع أن هذه الشعوب التي دخلوا إليها غرباء وضيوف طارئين أحسنت معاملتهم واستقبلتهم بكرم واحترام كبيرين بشهادة روايتهم التوراتية.

بقي العبرانيون، وهم من أصولٍ (آرامية)، على صلاتهم وارتباطهم بموطنهم الآرامي، فها هو إبراهيم (صلى الله عليه وسلم)، كما تقول روايتهم، يستحلف عبده ألا يأخذ زوجة لابنه إسحق من بنات الموطن الجديد (۞وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. ۞وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ: «ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي ۞فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاءِ وَإِلَهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لِابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ ۞بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لِابْنِي إِسْحَاقَ». ۞فَقَالَ لَهُ الْعَبْدُ: «رُبَّمَا لاَ تَشَاءُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَتْبَعَنِي إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ. هَلْ أَرْجِعُ بِابْنِكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا؟» ۞فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَرْجِعَ بِابْنِي إِلَى هُنَاكَ)[1].

والسؤال هنا، أين ابن إبراهيم البكر؟ إسماعيل الذي يكبر أخاه إسحق بثلاثة عشر عاماً، وهو البكر لأبيه؟ هل زوّجه إبراهيم من إحدى بنات الكنعانيين، أم رحل إلى مكة ليكوّن هناك بزواجه من عربية أمة عظيمة تحمل رسالة الإسلام الإبراهيمية الموحدة أصل الديانات التوحيدية السماوية والحاضنة لها؟

١- العهد القديم سفر التكوين 24: 1-6.

(۞فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ... ... ۞...فَذَهَبَ إِلَى فَدَّانَ ِ أَرَامَ إِلَى لاَبَانَ بْنِ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ أَخِي رِفْقَةَ أُمِّ يَعْقُوبَ وَعِيسُوَ)[1].

تبدأ المقاطع التوراتية بالتمهيد المسبق لتبني روايات أخرى لا تخفي أطماعها: إبادة كنعان وسلب أرضه وموطنه؛ إنها قصة إقصاء الضيف لمضيفه في أرضه، وإبادة الكنعاني الفلسطيني واعتبار أرضه غنيمة تدر حليباً وعسلاً، حيث ستكون في القريب إرثاً إلهياً ومستوطنة جديدة يهبها (يهوه العبراني) لشعبه الخاص لتكون له ملكاً أبدياً، ولن تبقى أرض كنعان (أرض غربة) للعبراني!

ولكن ماذا عن السكان الأصليين، سواءً أكانوا في كنعان فلسطين بالنسبة للكنعانيين، أم أيضاً للهنود الحمر بالنسبة إلى هبة الرب يهوه التالية (كنعان الجديدة الأمريكية)؟ سيتولى الأحبار والكهنة والكتبة للرواية أمر أولئك السكان بإضافة نصوص لاحقة على فترات تاريخية متلاحقة إلى النص الأصلي المُحَرَّف والمكتوب أصلاً بزمن متأخر جداً عن زمن موسى عليه السلام، وستُحَمَّل التبعات المترتبة عن القتل إلى أوامر الإله الكتابية!

(۞وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيداً وَإِمَاءً. ۞وَأَيْضاً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ فَيَكُونُونَ مُلْكاً لَكُمْ. ۞وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ)[2].

نلاحظ أن بضع عبارات أضيفت للنص، أصبح بعدها سكان الأرض مستوطنين نازلين على بني إسراءيل بعد إبادة معظمهم، والناجين عبيداً لهم وسبايا أبد الدهر (مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ).

ليس هناك علاقة البتة للدعوة والتوحيد والشريعة الإلهية. هذه القيم لن تشفع لهم حتى لو دخلوا جميعاً في الجماعة اليهودية. ليس المطلوب هنا التوحيد، بل أرضاً تدر حليباً وعسلاً وزيتاً وخمراً. والمسألة هنا استيطانية عرقية. إذاً الدعوة والتوحيد والهداية لم تكن يوماً هدفاً لبني إسرائيل!

إضافةُ سطورٍ أخرى للرّواية الكتابية في الماضي أو إصدار قرار من مجلس الأمن الدولي العتيد يجعل من بني إسرائيل الغزاة ملاكاً، ويصبح الفلسطينيون (الذين يولدون في أرضكم) عبيداً غرباء. أليس هذا ما حصل أيضاً مع الهنود الحمر ومواطني جنوب أفريقيا وأستراليا؟

١- العهد القديم سفر التكوين 28: 1-5.

٢- العهد القديم سفر اللاويين 25: 44-46.

نشهد اليوم على الحصار والإبادة الجماعية وجرائم الحرب الهمجية، التي تقوم بها الصهيونية اليهودية الغربية في قطاع غزة، والتي تباركها بصمت الدول الأوروبية، وتمولها الصهيونية المسيحية الأمريكية بسطوتها وقوتها العنصرية الطاغية. هذا النص متخلف مبني على فكرة انتحال قصة إسحق مع بكره عيسو وأخيه الأصغر يعقوب داخل النص المحرف (...كَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ)[1](وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ وَلأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ. وَلَكِنْ يَكُونُ حِينَمَا تَجْمَحُ أَنَّكَ تُكَسِّرُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ)[2]. المنطق الكتابي المغلوط هذا جاء مؤسساً لورثته الغربيين، حيث حقق لهم اعتناقه تبريراً لممارساتهم العدوانية الاستعبادية العنصرية بحق الشعوب الأخرى غير البيضاء وغير الأوروبية، وذلك عبر تبنيهم لثقافة (الكتاب المقدس) بشقه القديم التلمودي.

بهذا المنطق المتعالي الأصولي تصبح النصوص الإنجيلية المسيحية نصوصاً ثانوية أو مستبعدة بكل ما جاءت به من مساواة وعدالة وروحانية ومحبة إنسانية. وتصبح التناقضات الرئيسة الصارخة ما بينها وبين نصوص العهد القديم التوراتي مسألة وجهة نظر واجتهادات شخصية أو كنسية، حتى إن الإيجابيات والحقائق التوراتية المتناقضة مع التسلط والعنصرية يتم التغافل عنها وتجاهلها، على الرغم من ورودها ضمن نصوص العهد الجديد والدعوة المسيحية!

في العهد الجديد رسالة بطرس الرسول الثاني يصف الملك الكنعاني اليبوسي ملك (أورسااليم، القدس) ملكي صادق، أو مالك صادق، بكاهن الرب العلي القدير الذي بارك إبراهيم باسم الإله العلي القدير. ويصف هذا الموحد الكنعاني داخل الرواية الإنجيلية ومن هم على إيمانه من معتنقي رسالة المسيح بأنهم (على مرتبة ملكي صادق كابن الرب العلي). كما تقر بذلك أيضاً الرواية التوراتية التي تتناقض نصوصها حين يوجه الكتبة الرواية في اتجاه آخر محدد، وهو مطلب (إبادة الكنعانيين الوثنيين الملعونين. لم يعد ملكي صادق هنا كاهن الرب العلي القدير الذي تشرف إبراهيم وتعظم بمباركته له في مضافته وأرض غربته.

وتفنيداً لهذا الادّعاء بأمر الإله يهوه بإبادة الكنعانيين الفلسطينيين لوثنيتهم، نقول كما قيل لبني إسراءيل في سفر التثنية (...تَذْكُرُ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْداً فِي مِصْرَ...)[3] نقول لمدّعي ومقتفي الأسطورة الكتابية (تذكر أن الإله هو من

١- العهد القديم سفر التكوين 25: 32.
٢- العهد القديم سفر التكوين 27: 40.
٣- العهد القديم سفر التثنية 16: 12.

خلق الكنعانيين والفلسطينيين أيضاً. وتذكر أيضاً أن يهوه المدّعى هو من جعلك عبداً في مصر ليصارع جبروت الفرعون وظلمه، فجعل منك قدراً للاستبعاد والعبودية، وقام بتعريضك للتجربة والامتحان بعد خلاصك، واعتبرك شعباً له لتكون قدوة ومثلاً، وهو نفسه إلهك الذي قضى قضاءه عليك لتتعبد آلهة غيره ليخرجك من أبوته ورحمته ويلقي بك خارج الأرض التي استعبدتها وأهلها كما استعبدك الفرعون، فأصبحت فرعوناً آخر أكثر وحشية وعدوانية فنالك ما نال فرعون من عقاب.

كيف يمكننا أن نصدق الرواية الملفقة في قصة إسحق وعيسو ويعقوب التي توضح انحياز إسحق المخدوع بعد معرفته بالخدعة والمكر عندما يصر على إبقاء البركة ليعقوب المخادع والكاذب[1]. إنه تلفيق واضح في متن الكتاب يشرع استخدام الخديعة ويبرر تمادي الكهنة بانتحال القصة وإيصالها بالإخضاع إلى حد فرض العبودية على الأخ من قبل أخيه.

- كيف يصدق رجال الدين والحكماء هذه القصة؟ وكيف تتبنى هذه القلة المخدوعة القصة لتجعلها جزءاً من الكتاب المقدس الذي أعلنه الأحبار والكهنة (كلمة الله المقدسة)؟

أليس حكم إسحق في القصة المنتحلة بوجوب الالتزام الصارم بالحكم الجائر والصادر من قبله بحق عيسو، على الرغم من معرفته بالكذب والخديعة والمكر، يساوي ضرورة الالتزام بحكم الفرعون الإله ابن الرب في ديانات مصر القديمة، ويؤشر إلى أن هذه الثقافة الإخضاعية التوراتية مأخوذة من نسختها الأصلية الفرعونية الاستعبادية لبني إسراءيل في مصر؟

(إن قوة تأثير الكتاب المقدس العبري إنما تكمن في هذا التركيز الاستثنائي على المسؤولية الإنسانية. وإذا كانت الملاحم القديمة الأخرى بهتت بمرور الوقت، فإن تأثير قصة الكتاب العبري المقدس في الحضارة الغربية، على العكس من ذلك، زاد دوماً باستمرار)[2].

إن تفحصاً لنصوص الرواية العبرية التي احتوت على أوامر إلهية مدعاة تجيز الإبادة والسلب والنهب والإبادة والتحريم بالسيف والاستعباد بحق الكنعانيين الفلسطينيين وغيرهم من سكان المنطقة، وإجراء مقارنة لما تقوم به دولة الاحتلال

١- يجب المقارنة هنا بين كذب يعقوب ورفقة طبقاً للرواية التوراتية وبين توريث هذه الثقافة الكتابية بتبريراتها، حيث برر الكذب البريطاني والأمريكي الصهيوني أكذوبة أسلحة الدمار الشامل بالعراق، وعلاقة الرئيس العراقي الأسير الذي تعرَّض لاغتيال بالقاعدة، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر المدعاة كذباً وتلفيقاً.

٢- فنلكشتاين وسلبرمان: التوراة مكشوفة على حقيقتها - ص 34.

الصهيونية من أعمال استيطان وتهويد القدس وبناء جدار الفصل العنصري، سيظهر وبوضوح استمرار التبني اليهودي الصهيوني الغربي للخطاب ذاته الأصولي العنصري المتطرف والهمجي الذي تضمنته أحكام الكتاب المقدس العبري المتوارث غربياً.

ويبدو لنا جلياً الدور الرئيس الذي أدّته وتؤدّيه القوى اللوثرية البروتستانتية التوراتية بقيادة الإمبراطورية البريطانية ووريثتها الإمبريالية الأمريكية السامية التي يسمو مواطنوها وتابعوها من اللصوص والقراصنة وقطاع الطرق على الأعراق الإنسانية الأخرى، كما يسمون شعب الله المختار على الأجناس البشرية الأخرى غير اليهودية الصهيونية.

وعن الدور البريطاني الفرنسي القذر الذي ساهم بتخطيط مسبق وتاريخي لتهيئة الظروف والأسباب لاغتصاب فلسطين وإقامة الدولة اليهودية الغربية على كامل أرض فلسطين التاريخية والجغرافية، كتب شافيتوري اللورد السياسي الإنكليزي عام 1840م مقالاً للصحف قال فيه: (ستكون سورية، ومن ضمنها فلسطين بعد إعادة إنشائها، بلداً تجارياً، بصورة خاصة، من أهم المراكز التجارية في العالم. وهل يوجد مكان أكثر ملائمة ومنطقة مباركة يمكن أن يبدي فيها اليهودي مؤهلاته؟ إنها ستكون ضربة موجهة للإنكليز إذا امتلك أي من المنافسين لسورية). وفي 25 كانون الثاني عام 1853، أعلن العقيد جورج غاولر في البرلمان الإنكليزي حاكم جنوب أستراليا السابق: «إن العناية الإلهية هي التي وضعت سوريا ومصر على طريق إنكلترا إلى أكثر مناطق تجارتها الخارجية الكولينالية أهمية، يجب أن تجدد بريطانيا بواسطة الشعب الوحيد الملائم للقيام بهذه الرسالة، والتي يمكن أن تستخدم طاقته بصورة فعالة ودائمة. إنهم الأبناء الحقيقيون لهذه الأرض (أبناء إسرائيل)». وقال جيمس نيل في كتابه (النزوح إلى فلسطين أو جمع شمل إسرائيل المشردة) سنة 1877م: (إن احتمال إمكانية استيطان الإنكليز في فلسطين بالنجاح نفسه الذي استوطنوا فيه أمريكا الشمالية بعيد جداً، وذلك بسبب حرارة المنطقة، والصعوبات التي يقيمها العرب، والافتقار إلى حماية فعالة، وكثير غير ذلك»[1]. لهذا فهو يقترح أن يستخدم اليهود لتحقيق هذا الهدف[2].

١- (تاريخ الصهيونية) NCOCOLO; HISTORY OF ZIONOSM-VOL II P366

٢- من كتاب حذار من الصهيونية - يوري إيفانوف - ترجمة محمد كامل عارف - ص 45.

ما كتبه كبار اللوردات والضباط البريطانيين الغربيين في القرن الثامن عشر للميلاد، وما خطط له ملوكهم وحكامهم الإقطاعيون، يبدو مبكراً عشرات السنين عن تاريخ تأسيس الحركة الصهيونية المعلنة ومؤتمرها الأول عام 1897 في سويسرا، مما يؤكد التبني المبكر للإصلاح اللوثري والحركة الإصلاحية المسيحية التي اجتاحت أوروبا الغربية في بداية القرن السابع عشر الميلادي للفكر التوراتي التلمودي الصهيوني ومحاولات بريطانيا الاستعمارية التوسعية إيجاد موطئ قدم لها في بلاد الشرق العربي قبل وجود الطموحات اليهودية للصهيونية العالمية بالسيطرة على فلسطين التاريخية، ويثبت ذلك أيضاً الاستغلال والتوظيف الرأسمالي الإنكليزي للطموحات اليهودية الغربية لإيجاد وطن قومي خاص بها، في وقت كانت تقتصر فيه هذه الطموحات على حرية الممارسة للشعائر الدينية وزيارة الأماكن التاريخية التي جرت فيها أحداث الرواية العبرية.

والسؤال المطروح هنا: هل الحركة الصهيونية العالمية هي من دفعت بالدول الاستعمارية الغربية لمساعدتها ودعمها بتحقيق أحلامها بقيام دولة قومية يهودية، لا سيما أن الطرح كان لدولة في أفريقيا (أوغندا)، أم أن هذه الدول الاستعمارية الطامعة واللوثرية التوراتية والرأسمالية المرابية هي من شجع ودفع بالحركة الصهيونية العالمية الغربية لتبني مطالب وطموحات استعمارية إمبراطورية بقيام دولة يهودية تابعة لها بهوية يهودية غربية على أرض فلسطين التاريخية؟

هدفت الإمبراطوريات الاستعمارية من خلال إنشاء كيان يهودي إلى إيجاد قاعدة غربية لها في منطقة حيوية واستراتيجية لتأمين مصالحها وخطوط تجارتها عبر الممرات والبحار الحيوية التي تشكل لها طرقاً اقتصاديةً مهمةً إلى مستعمراتها في آسيا وشبه القارة الهندية، والسيطرة على المواد الخام والثروات الباطنية والواعدة على الأرض العربية، ولهذا قامت هذه القوى الطاغية وبشكل مبكر جداً بشن الحملات الاستشراقية والاستكشافية على المنطقة المشرقية وفق رؤيتها الاستكبارية، وأبدت اهتمامها بكل كبيرة وصغيرة لتتبع تلك الدراسات الاستشراقية والحملات التبشيرية والحملات الاستكشافية والبعثات الأثرية والحملات العسكرية، لتشكل لها قاعدة استطلاع مزودة بمعلومات وخرائط

تفصيلية تحت ذريعة (استكشاف أرض الكتاب المقدس)، ثم لا تلبث أن تتبع وبوقت معلوم هذه البعثات التبشيرية اللاهوتية والاستكشافية الحملات العسكرية والغزوات الإفرنجية الصليبية والاستعمار المباشر الذي يملك قوة عسكرية تدميرية تحت ادّعاء نشر الحضارة الغربية والأعمال الإنسانية. إنه نهج واحد مقتبس بتفاصيله من القصص الكتابية ومن الاعتناق المسيحي الصهيوني للادّعاءات التلمودية الماسونية، حيث يتخفى وراء المسيحية والحضارة الأوروبية تبنٍّ مكشوف لليهودية الصهيونية تحت رداء المحافظين والمحافظين الجدد، وهي بالواقع قوى يهودية غربية استيطانية تلمودية. ونورد من الرواية الكتابية: (۞وَأَتُوا إِلى وَادِي أَشْكُولِ وَقَطَفُوا مِنْ هُنَاكَ زَرَجُونَةً بِعُنْقُودٍ وَاحِدٍ مِنَ العِنَبِ وَحَمَلُوهُ بِالدُّقْرَانَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرُّمَّانِ وَالتِّينِ. ۞فَدُعِيَ ذَلِكَ المَوْضِعُ «وَادِيَ أَشْكُولِ» بِسَبَبِ العُنْقُودِ الذِي قَطَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيل مِنْ هُنَاكَ. ۞ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً)[1].

توجب على الجواسيس المستطلعين من بني إسراءيل إعطاء كل شيء شوهد في الأرض الفلسطينية شكلاً عملاقاً. لم يقتصر الوصف بالعملاق على عنقود العنب في وصف خرافي لعنقود يحتاج إلى جنديين مستطلعين لحمله، إنها خرافة تخالف منطق العقل والكتب السماوية، في سفر العدد 13: 32-33، بل جعل كذلك الجواسيس المستطلعين سكان أرض كنعان وفلسطين عمالقة، فقد كان الجواسيس في أعينهم بحجم الجرادة، مع أن بني إسراءيل كانوا في زمن يعقوب يساكنون الفلسطينيين الكنعانيين، فلم يكن وصف أهل البلاد بالعمالقة بهذه المبالغة. ويلفت النظر هذا الانفصال والانفصام شبه التام بين ثقافتهم قبل الدخول إلى مصر وبعد خروجهم منها، فهل كان أولئك الجواسيس المستطلعين طارئين وغرباء عن بني إسراءيل؟

(۞فَأَشَاعُوا مَذَمَّةَ الأَرْضِ التِي تَجَسَّسُوهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيل قَائِلِينَ: «الأَرْضُ التِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الذِي رَأَيْنَا فِيهَا أُنَاسٌ طِوَالُ القَامَةِ. ۞وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الجَبَابِرَةَ (بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ). فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالجَرَادِ وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ»)[2]. ولمعرفة القارئ الكريم، فالأرض المستطلعة هي المنطقة الواقعة بين جنوب بئر السبع ومداخل

١- العهد القديم سفر العدد 13: 23-25.
٢- العهد القديم سفر العدد 13: 32-33.

مدينة حماة السورية. وتصلح هذه المقدمة الاستطلاعية التجسسية التي اخترعها الأحبار والكتبة لتكون بداية موفقة لوصف وتمجيد قوة الإله العبراني يهوه الذي هو أقوى من سائر الآلهة الأخرى لأنه إله إسراءيل!

النهج الغربي الإمبريالي الاستكباري هو نسخة طبق الأصل عن النسخة اليهودية التي استخدمت منهاجاً ودستوراً أخلاقياً وتبريراً لقادة الغرب الصهاينة: نابليون بونابرت الذي سبقته الحملات الصليبية إلى الشرق، وادّعاءات وجرائم النازية الهتلرية الغربية، وتخرصات الإرهابي الأمريكي جورج بوش وأعماله الإجرامية العدوانية؛ ادّعوا جميعهم التكليف الإلهي والقيم والمبادئ الإلهية لتبرير أعمالهم الوحشية الهمجية. يقول البحاثة جيفرز مؤلف كتاب (فلسطين الحقيقة): (لما استعاد صلاح الدين مملكة الإسلام، وجد اليهود عطفاً منه، وكانوا عندئذ قلة في فلسطين. وهناك حادث تاريخي غريب ذو بال قلّ من عرفه، وهو أن صلاح الدين استقبل سنة (1211م) ثلاثمئة حبر من أحبار اليهود جاؤوا من إنكلترا وفرنسا. وقد جاء هؤلاء سعياً وراء الاستقصاء عن إمكانية هجرة اليهود إلى فلسطين، غير أن مهمة هؤلاء الأحبار لم تسفر عن أي نتيجة)[1].

ونركز هنا على محاولات فرنسا الاستعمارية الفرنجية بقيادة نابليون بونابرت في العمل الدؤوب لتأسيس مملكة غربية في بلاد الشرق العربي من خلال غزوه لمصر وفلسطين وسورية (عام 1799م)، ومن خلال حصاره لمدينة عكا التي قهرته مع جيشه وكسرت هيبة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية بعد احتلاله لمدينة يافا، ودعوته لليهود للانضمام إلى حملته وغزوته الصليبية الغربية بقوله لهم: (إن العناية الإلهية أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا. وقد جعلت رائدي العدل، وكفلتني، وجعلت من القدس مقري العام، وهي ستجعله بعد قليل في دمشق التي يضيرها مجاورة مملكة داود)[2].

يظهر في قول نابليون بونابرت وبوضوح النهج التوراتي للغزاة الإسرائيليين الذين اتبعوه في غزوهم بعد أكثر من ثلاثة آلاف سنة من الغزو الفرنسي الوحشي على فلسطين عامةً، والقدس خاصةً، تحت غطاء وتبرير كتابي ملفق للأوامر الإلهية بقوله: (العناية الإلهية أرسلتني وكفلتني). وهو إرث توراتي تلمودي صهيوني تم الخلط الفاضح بينه وبين الرسالة المسيحية والدعوة الإنجيلية التي لا تبيح الاغتصاب والظلم والقتل، وتنتهج المحبة والسلام في دعوتها الهدائية، وتقر مبدأ العدل والمساواة بين جميع الأعراق الإنسانية، وتلغي أي مقولة لشعب الله المختار، وتدخل كل الشعوب والأمم بالأبوة والرحمة الإلهية.

١- (كتاب فلسطين الحقيقة) JEFFRIES (P) PALSTINE (THE REALTY-P.30)

٢- إيلي ليفي أبو عسل: (يقظة العالم اليهودي)، ص 124. طبع في مصر 1934 في ظل الاحتلال البريطاني.

أما التراث الاستيطاني والاستعلائي، فهو منهج ومبدأ توراتي صهيوني وعنصري يخالف في طبيعة تكوينه وإرثه كل القيم والمثل والأخلاق الإنسانية. إنه معتقد يستبعد كل البشر من الدخول في الرحمة والعدالة الإلهية. هذه الموبقات بهمجيتها أصبحت منهاجاً ودستوراً دسّه الأحبار والكهنة وبعض الساسة ورجال الكنيسة من الجهلة والمنحرفين، ليصبح تعبيراً وتراثاً للثقافة والحضارة الأوروبية ذات المعايير المزدوجة لحقوق الإنسان والديمقراطية والحرية.

يعتبر النفاق الاستعماري المدافعين عن أوطانهم (مخربين وإرهابيين)، كما جاء في خبر مستهجن: (قرر جورج بوش رفع اسم المناضل الأفريقي نيلسون مانديلا من
قائمة الإرهاب الأمريكية)[1]، بعد أكثر من خمسين عاماً من مقاومته ونضاله لتخليص بلاده من نظام الفصل العنصري في جمهورية جنوب أفريقيا، الذي مارسه المستوطنون البيض الغربيون (من الأنجلوساكسون). هذه البلاد الأفريقية الرازحة تحت سلطة الاستعمار الغربي سابقاً. وفي خبر آخر يكشف عن مدى التعصب والأصولية الذي يضرب جذوره عميقاً حتى داخل الأوساط العلمية والثقافية: (تقيم إحدى القنوات الفضائية الفرنسية مسابقة تعليمية للأطفال المتفوقين (ألغاز وأرقام). وكان مقرراً أن يشترك في مسابقاتها الطفل (إسلام) الفرنسي الجنسية، لكن بعد حضوره إلى استديوهات هذه القناة، أبلغته المسؤولة عن البرنامج أنه ليس مسموحاً له بالمشاركة بالمسابقة، لأن اسمه يزعج المشاهدين، ويجب عليه تغيير اسمه ليتمكن من المشاركة. رفعت والدة الطفل إسلام دعوى قضائية بحق هذه القناة بتهمة العنصرية. بعد حوار مع إدارة القناة وعدت بالتحقيق، ثم تجاهلت الأمر منذ 2008/4/16)[2]. وخدمةً للحقيقة والعدالة، يصح الحديث هنا عن كرم الضيافة والاحترام والاحتضان الذي يلاقيه غير العربي في البلاد العربية بمجرد أن يعرف باسمه غير العربي أو يتحدث بلغة بلاده ليعتبر نفسه ضيفاً وصديقاً لا بد من احترامه وتقديم العون له بإخلاص. هذه هي الثقافة المستمدة من القيم المسيحية والإسلامية الشرقية التي نتوارثها جيلاً بعد جيل.

١- قناة الجزيرة الفضائية: حصاد اليوم - شريط الأخبار مساء 2008/6/28.
٢- قناة الجزيرة الفضائية: مساء 2008/4/25 النشرة المسائية.

يذكر سلبرمان في كتابه (البحث عن إله ووطن): (كان هناك ما يدعو للقلق في يافا، تلك التي كانت الميناء الملكي للملك سليمان ذات يوم: رفضت الحامية التركية الاستسلام بعناد. وحين تم في آخر الأمر تدمير تحصينات المدينة، اندفعت قوات نابليون إلى الشوارع في عملية عربدة دامت أربع وعشرون ساعة. وهي تقوم بأعمال السلب والنهب والاغتصاب والذبح، وفي الأيام القليلة التالية، أمر نابليون بإعدام أربعة آلاف من أسرى الحرب العُزل. وسرعان ما تعرضت وعود الحملة الفرنسية السخية لنسيان. ومع تصاعد روائح الأجساد غير المدفونة في سماء يافا وبروز الوجه الحقيقي النابليوني للأرض المقدسة، لم يرَ بعض الناجين من الحصار ما هو أقل من نوع من الانتقام الإلهي في
الانتشار المفاجئ للطاعون الأسود في المعسكرات الفرنسية. حدث هذا عام 1799-1800م)[1].

لا يقتصر دور الحملات التبشيرية للكنيسة الإنجيلية اللوثرية وغيرها على الاستطلاع والتجسس تحت ستار الأعمال الخيرية والتعليمية والطبية الإنسانية، ونشر المبادئ المسيحية الهدائية تمهيداً للحملات العسكرية والاستعمارية على الأجزاء الواسعة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لنهب ثرواتها واستعباد شعوبها، بل كان لهذه الحملات دور كبير بالتمهيد والاستطلاع والجاسوسية على بلاد المشرق والمغرب العربي. وهي البلاد الشرقية التي كان شعبها أول من اعتنق الديانات التوحيدية الثلاث، وأول من بشر بها أيضاً في بلاد أوروبا الوثنية، فلم تكن بحاجة يوماً للحملات التبشيرية الغربية لتتعلم منها مبادئ التوحيد أو الحضارة المدنية، وهي بلاد عريقة في اعتناقها للديانات السماوية والحضارة والمدنية.

هذا الاستكشاف والتبشير لم يكن في حقيقة الأمر سوى استطلاعاً عسكرياً تجسسياً ألبسه ساسة الغرب الاستعماري التوراتي لباس الورع والتقوى والعمل الخيري والإنساني ليكون في خدمة الحملات والغزوات الاستعمارية الهمجية والاستيطانية الناهبة لثروات الشعوب ومواردها الطبيعية واستعباد قواها البشرية، ضمن خطة منهجية وضعها المستشرقون والمستكشفون، هدفت إلى إفقار الشعوب

١- نيل سلبرمان: (البحث عن إله ووطن) ص 36.

وتجهيلها وزرع الشقاق والفتنة الطائفية والعرقية بين مكوناتها، ومحو الذاكرة الشعبية وإضعاف اللغة العربية واستبدالها بلغات المستعمر الأجنبية، ونشر ثقافاته وأنماطه فيها بديلاً عن تراثها وثقافتها المشرقية، واللعب على أوتار النزاعات القبلية والعشائرية وترسيخها ليبقى المحتل الأجنبي قاضياً وحكماً لها وعليها، لا سيما في الجزيرة العربية وبلاد المشرق العربية. (ويذكر بهذا الصدد قانون العشائر الذي سنته سلطات الاحتلال البريطاني في الأردن عام 1936، وقانون العشائر في سورية الذي سنته سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1940. وهي القوانين التي جعلت من العشائر مشكلة لدولة داخل دولة)[1].

من الواضح أن المستشرقين والمبشرين ومستكشفي الآثار كانوا قد أدَّوا دوراً رئيساً ومهماً في التمهيد للاحتلال البريطاني والفرنسي للعالم العربي والإسلامي.

(اشتركت بريطانيا وألمانيا في تأسيس إرسالية مشتركة في القدس سنة 1851م، فاتفقتا أن يشرف عليها أسقف مرسوم على المذهب (الأنجليكاني) الإنكليزي، لكن تعيينه يجري بالتناوب بين ملك إنكلترا وملك بروسية (ألمانيا)، مما حمل الدولتين على تأسيس أسقفية مشتركة بالقدس. إن السلطات الإنكليزية والبروسية والحماية الدينية التي تتمتع بها على النصارى (الكاثوليك) يحسن أن تتوازن بحماية ألمانية إنكليزية على البروتستانت. وقد كان أول أسقف على أسقفية القدس هذه ميخائيل شلمون اسكندر، وهو حاخام يهودي متنصر. من الواضح أن الدوافع لتأسيس هذه الأسقفية المشتركة، وإن كانت دينية في الظاهر، لكنها كانت سياسية في الدرجة الأولى)[2]. أوصت هذه البعثات الاستشراقية والتبشيرية الاستكشافية من خلال استطلاعها ونتائج دراساتها وأبحاثها بعقد اجتماع وتشكيل لجنة سرية تمخض عنها عقد مؤتمر في لندن عام 1905م، تدارس بحضور علماء وأساتذة متخصصين ومستشرقين (منهم البروفيسور جيمن جيمس، ولوي مادلين، وليستر، وليتسنغ، وسميث، ودريتنج، وزهروف، وغيرهم من مشاهير العلماء والأساتذة. توصلوا في دراستهم إلى أن الخطر على الحضارة الأوروبية يكمن في منطقة حوض البحر المتوسط الشرقية والجنوبية وصولاً إلى البصرة، هذه المنطقة الاستراتيجية التي تحتوي على الممرات البحرية الرئيسة، حيث يعيش هناك شعب واحد تتوافر لديه وحدة تاريخية ودينية ولغوية وثقافية وآمال واحدة، ويتمتع بعراقة وحضارة عظيمة، إلى جانب امتلاكه للثروات الطبيعية ومقومات المجتمع الواحد. هذه العناصر والمقومات التي تتمتع بها هذه المنطقة ستجعلها

١- فاروق كيلاني: شريعة العشائر في الوطن العربي ص 58 مجلة المصور المصرية تاريخ 1958/10/10.

٢- خير حماد (الصهيونية) ص 78.

تشكل خطراً على الطموحات الاستعمارية الغربية، لا سيما إذا تمكنت هذه المنطقة من امتلاك أسباب العلم والنهضة والوحدة والتقدم العلمي والصناعي)[1].

نطرح هنا سؤالاً استنتاجياً يربط بين الماضي والحاضر للواقع التوراتي أيديولوجياً واستعمارياً: هل كان هناك رابط أيديولوجي، كهنوتي توراتي، بين معتقدات الغرب وممارساته الاستعمارية ومصالحه الرأسمالية المادية الربوية، أدى إلى نشوء هذا التحالف بينه وبين اليهودية الصهيونية، وأنتج بالتالي هذه الإمبريالية الطاغية؟ وهل نستطيع الجزم بأن طبيعة هذا التحالف هي طبيعة مبنية على تبادل المنافع المادية والمصالح الاقتصادية في عالم تتحكم بسياساته المفاهيم الاقتصادية دون غيرها من المعتقدات والأيديولوجيات والاتجاهات الكهنوتية؟ أم أن القوى الغربية المعادية تتبنى وتنطلق في ممارساتها العدوانية من المعيارين معاً في حربها على العرب والمسلمين؟

سنحاول سبر أغوار دفائن النفسية الاستعلائية الغربية منذ القدم، والمستقاة بأصوليتها وتطرفها من التبني للرواية العبرية التي تتخفى خلف ادّعاءات وشعارات براقة من نشر الحضارة المسيحية الغربية ونشر مبادئ الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية. (فقام شارلمان بعقد معاهدة في القرن الثامن ميلادي مع الخليفة العباسي هارون الرشيد من أجل الحماية المسيحية للمزارات القديمة في فلسطين، غير أن المسلمين كانوا في هذه الأثناء قد طوروا روابطهم الدينية الخاصة بالقدس، حيث نجد محمد كما جاء في القرآن قد كرس حادثة صعوده إلى السماء من أعلى الصخرة المقدسة التي كانت تشكل ذات يوم قاعدة قدس الأقداس في المعبد اليهودي، ففي العام (691م) قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة في المكان، ورسخ تقليداً للحج الإسلامي لذلك المزار والمسجد الأقصى القريب، أما الأرضية التذكارية للمعبد اليهودي فقد أصبحت تعرف باسم الحرم الشريف المنتصب تحدياً دينياً مباشراً، ليس للتقاليد اليهودية فحسب، بل لأولوية كنيسة القيامة أيضاً)[2].

قبل التطرق والتصدي لمحاولة الدس والوقيعة وخلط الأوراق على لسان الكاتب اليهودي الأمريكي سلبرمان بين المسلمين والمسيحيين بما ذكره عن مكانة كنيسة القيامة، أشير إلى أهمية كنيسة قيامة النبي الرسول عيسى (صلى الله عليه وسلم) الثقافية والدينية والتراثية للعرب المشرقيين مسيحيين ومسلمين، وصونهم لها

١- كتاب الثقافة القومية الاشتراكية لطلاب الصفوف الأولى والثانية - جامعات القطر العربي السوري 1942-1973بتصرف حبيب جاماتي.

٢- نيل سلبرمان: البحث عن إله ووطن ص 25.

وحفاظهم عليها على مر العصور، على العكس تماماً من اليهود والصهاينة، فيما بعد، الذين أنكروا ولا يزالون ينكرون نبوة عيسى المسيح (صلى الله عليه وسلم)، فالمسلمون يؤمنون بنبوة ورسالة السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم) رسول الله وروحه وإنجيله المقدس والقديسة مريم بنت عمران (البتول)، كما ورد في سورة مريم في القرآن الكريم، فلا بد لي من استعراض دعاوى الخلط الفاضح بين القول في (قدسية قاعدة قدس الأقداس) التي ذكرها سلبرمان وبين ما أشيد عليها بزعمه (الحرم الشريف)، هذه المسألة التي خضعت لإرادة وأوامر المشيئة الإلهية بحق اليهود لتكذيبهم ونكرانهم لنبوة المسيح ودعوته الإلهية الهدائية. وجاء ذلك على لسان السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم) في إنجيله الموحى به إلهياً، فالمؤمن المسيحي الحق هو من يتدبر ويقرأ الإنجيل ويعمل به، كما أوصى الله تعالى في القرآن الكريم.

جاء في إنجيل متى: (۞ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. ۞فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!» ... ... ۞لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ...)[1].

يلوح سلبرمان بالتحدي الديني ليس للمعبد اليهودي بل لكنيسة القيامة، في إشارة إلى قبة الصخرة، فمنذ متى يعترف اليهود بالقيامة للمسيح من بين الأموات ليقدسوا كنيسة القيامة؟ الهيكل اليهودي المدعى؛ لم تكن رسالة الإسلام قد ظهرت للوجود، ولم تكن هناك بعد ديانة إسلامية محمدية، عندما قام حليف اليهود الوثني الروماني تيطس بحرقه وتدميره سنة (70م). إذاً من دمروا وأحرقوا الهيكل اليهودي هم حلفاء اليهود الذين تآمروا معهم على صلب المسيح وتعذيبه على الخشبة، فما علاقة مسلمي القرن السادس الميلادي في التدمير والوعد الإلهي الوارد في إنجيل السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم). فالمسلمون بنوا وقدسوا مسجداً، وهم من يعمر مساجد ودور عبادة الله واليهود من يقوم بهدمها، ومحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم جاء في إسرائه للصخرة المقدسة وفي معراجه للسماء من فوقها مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومكملاً لرسالتي الرسولين العظيمين موسى وعيسى (عليهم السلام). وبصلاته هناك

١- العهد الجديد إنجيل متى 24: 1-7.

(صلى الله عليه وسلم) أكّد قدسية ما سبق من الكتب الإلهية وأنبيائها المكرمين في القرآن الكريم. لم يأتِ الرسول محمد وصحبه (صلى الله عليه وسلم للقدس غازياً ومحتلاً، بل رسول محبة ومواطناً مشرقياً عربياً من سكان البلاد، ليس كما غزا الغرب واليهود الغربيين بلاد الشرق غرباء محتلين عاثوا فيها خراباً وفساداً.

دمر الهيكل نهائياً وللأبد، واستبعد بأمر إلهي موثق إنجيلياً قبل ظهور الرسالة المحمدية بأكثر من ستمئة عام، بعد أن حوله أحبارهم وكهنتهم من الفريسيين والصدوقيين إلى ماخور للفساد والاستعباد والظلم والابتزاز والسرقة، كما قال السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم): (وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!»)[1]. وأما تأكيد السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم): (...تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ...)[2]، هو أيضاً وعد إلهي على لسان رسوله بانتصار العرب والمسلمين على الإمبراطورية الرومانية الاستعمارية المقدسة وطردها من بلاد الشرق. وهذا الأمر الإلهي على لسان السيد المسيح في زمن الاحتلال الروماني قد نُفِّذ بأمر الله بالانتصار النهائي للعرب والمسلمين في معركة اليرموك الخالدة واندحار مملكة الروم الغازية إلى الأبد.

- الأمر الإلهي ورد في القرآن الكريم أيضاً تبليغاً من الله تعالى للناس على ما قضاه الله على بني إسراءيل في الكتاب (التوراة) (الإسراء 1-7). فالأنبياء المرسلون والكتب السماوية متتابعة إلهياً، وبحسب تدرج العقل البشري، على تقبل شروط العبادات والعمل بها، لا تنسخ أي شريعة لنبي، ولكن الله قد ينسخ آية ليأتي بمثلها أو أحسن منها، وكما يقول القديس بولص إن الله يجعل من الأول قديماً ويقربه من الفناء أو الاستبدال. ويقول القرآن الكريم بهذا الشأن: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

عاش المسلمون والمسيحيون العرب المشرقيون مع يهودهم العرب أيضاً بمودة وتعاون واحترام متبادل وتعاون علمي واقتصادي. وهذه الصفات الحميدة هي من السمات والخصائص المميزة التي تشكل منابع وأصول الثقافة العربية المشرقية. وتبنت هذه المنطقة أيضاً جميع الديانات السماوية، واعتبرتها تراثاً وثقافة مشتركة

١- العهد الجديد إنجيل متى 21: 13.
٢- العهد الجديد إنجيل متى 24: 7.
٣- القرآن الكريم سورة البقرة الآية 106.

حافظت عليها على مرّ العصور، وقدست الرموز الدينية ودور العبادة جميعها، واعتبرتها رموزاً مشتركة أكرم الله أهل هذه البلاد بتواجدها بينهم. يقول المؤرخ الروسي ليف غوميليوف المسيحي المشرقي دفاعاً عن العرب والمسلمين: (من الممكن تحقيق أي عمل إذا لم تؤخذ التكاليف بالحسبان، فيمكن على سبيل المثال دفع 50 روبلاً ثمناً لعلبة كبريت عندما لا توجد عيدان ثقاب، بينما الرغبة في التدخين كبيرة جداً، هكذا كانت الحملة الصليبية الأولى بتكاليفها غير المثمرة، وقد نجحت ليس فقط لأن المسلمين الذين عاشوا في فلسطين لم يتوقعوا أبداً أن مثل هذا الاعتداء الصارخ من الممكن أن يحدث، فهم لم يعيقوا حجاج المقدس المسيحيين في زيارة قبة الصخرة والصلاة، بل على العكس كانوا يحرسونهم ويحترمونهم جداً، فقد كان المسيح ومريم أنبياء عندهم مثل محمد، وكان الإنجيل والقرآن الشريفان يعتبران كتابين متساويي القيمة، ولم يكن هناك اضطهاد بسبب الدين، ولا يوجد أي مبرر لمثل هذا الاقتحام الذي قام به المسيحيون، ما عدا العملية الداخلية لحمى الباسيونارية[1] التي شملت أوروبا الغربية في الفترة الواقعة بين القرنين السادس والرابع عشر)[2].

ويقول: (وإن الرأي الشائع بأن الاندفاع إلى الدين الذي اشتعلت فيه نيران أولى محاكم التفتيش، خاطئ تماماً، فقبل نهاية القرن الحادي عشر كان المجتمع الأوروبي الروحي والدنيوي في حالة انحطاط أخلاقي كامل، والكثير من الكهنة كانوا أميين، والأحبار نالوا التعيين بسبب صلات القربى، والفكر اللاهوتي كان مقموعاً بالتفسيرات الحرفية (للكتاب المقدس) المناسبة لمستوى اللاهوتيين الجهلة، أما الحياة فكانت مقيدة بأنظمة الرهبان التي حلت وبإصرار محل الفكر الحر لحسنى السلوك. في ذلك العصر انقسمت كل الطبائع القوية إما إلى متصوفة أو داعرة. أما الناس الباسيونياريون في ذلك الوقت فكانوا أكثر مما هو مطلوب للحياة العادية، ولهذا السبب سعوا للخلاص في فلسطين لتحرير قبر المسيح من المسلمين على أمل ألا يعودوا)[3].

يأبى الكتاب والعلماء المسيحيون الشرقيون إلا أن يدلوا بشهاداتهم على العصر الأوروبي، الذي انحاز فيه بعض قادة المسيحية الغربية بتأثير من الأحبار والكهنة عن مسيحيتهم الحقة لمواجهة المسلمين استعلاءً وعصبيةً جاهلية وعنصرية، نتيجة ما توارثه الأوروبيون بجهالة وتخطيط يهودي صهيوني مبرمج في مواجهة العرب والمسلمين داخل بلدانهم بحروب (إفرنجية صليبية) أسموها

١- الباسيونارية: هي ظاهرة الطاقة التي تسقط على الأرض من الفضاء.
٢- ليف غوميليوف: (في دوامة التاريخ - النهاية والبداية) ص 149-150.
٣- ليف غوميليوف: (اكتشاف خازاريا) ص 280-281.

بهتاناً (الحروب المقدسة)، وكانوا معتدين غزاة قتلة بحق أهل البلاد المسالمين مسلمين ومسيحيين ويهود من العرب الذين عاشوا متآلفين زمناً طويلاً.

استمر هذا التبني الخاطئ لمفهوم الديانة المسيحية من خلال دسّ الأحبار والكهنة والساسة لثقافة التوراة والتلمود داخل تعاليم الكنيسة الغربية، لتصبح أساساً وجذراً للحضارة والثقافة والأصول الغربية التي تجلت في العصر الحديث بشكل أكثر أصولية ووحشية وتطرف في مساندة قادة الغرب وبعض كنائسه للمشروع اليهودي الصهيوني، ومدّه بكل أسباب القوة والبقاء على حساب الشعوب العربية، والسبب واحد وشبه معلن: محاربة الإسلام والعرب بوقاحة تجلت في السنوات الأخيرة في ممارسات الإرهابي جورج بوش في حروبه العدوانية وصفاقته الوقحة بإعلان الحروب الصليبية.

هذه الوقاحة والعنجهية استفزت كل المشاعر الدينية وحرّكت الأصولية الإسلامية في مواجهة أصولية الغرب الصليبية. وسواء كنّا مسلمين ومسيحيين، عرباً ومشرقيين، لا نتفق مع الحركات الإسلامية المتطرفة لعدم تفريقها بين الحكام الغربيين والساسة والعسكريين وبين مواطنيهم من المدنيين، الذين هم أيضاً شعوب مضطهدة ومضللة، والكثير من هذه القوى الخيرة الغربية تعارض سياسات حكوماتها وتقف بحزم وتصميم ضد سياساتها في أفغانستان والعراق وفلسطين، لا سيما ما نشاهده اليوم من مظاهرات واعتصامات واشتباكات مع قوى الأمن في مختلف المدن والعواصم الغربية والشرقية استنكاراً لما تقوم به دولة العدوان الصهيوني من مجازر وبطش وتنكيل وحصار جائر بحق أهالي قطاع غزة. ولا يسعنا هنا إلا الوقوف إجلالاً وإكباراً لأصحاب الضمائر الحية الغربية التي وقفت وبحزم، لا سيما الناشطين المتطوعين الذي دفع البعض منهم أرواحهم انتصاراً للحق والعدالة والحرية، وأخص روح الشهيدة الأمريكية راشيل كوري التي مزقتها بوحشية وتعمد جنازير الدبابات الإسرائيلية، وإلى كل الشرفاء من رجال الفكر والساسة الغربيين من أمثال المناضل جورج غالوي، وليفنغستون، وغيرهم الكثير. ونسوق للمُضللين من معتنقي المسيحية المتصهينة ما قاله السيد المسيح لليهود في الماضي: (❁«وَبِمَنْ أُشَبِّهُ هَذَا الْجِيلَ؟ يُشْبِهُ أَوْلاَداً جَالِسِينَ فِي الأَسْوَاقِ يُنَادُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ❁وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطِمُوا! ❁لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. ❁جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا»)[1].

نجم عن العقلية والنفسية العدوانية الشريرة التي تبنتها اليهودية غير الموسوية في مواجهة السيد المسيح والمسيحية بوحشية واضحة جريمة صلب المسيح، والتحالف مع المحتل الوثني الروماني لتحقيق أهداف كهنوتية مادية

١- العهد الجديد إنجيل متى 11: 16-19.

وسلطوية. هذه العقلية التلمودية والممارسات العدوانية تنتمي إلى النهج العدواني ذاته الذي انتهجه كهنة وساسة وملوك وأمراء الغرب في مواجهة رسالة الإسلام فور نزولها، ولا سيما ادّعاء الحروب الصليبية باسم المسيح، وفي شنّ الحروب الفرنجية عليها بعد انتصار الإسلام المحمدي على الوثنية والشرك وعبادة الأصنام في الجزيرة العربية.

ومع أن الرسالة المحمدية جاءت متممةً ومكملةً ومصدقةً للرسالتين الإلهيتين للنبيين موسى وعيسى (عليهما السلام)، جاء الإسلام بالهداية والدعوة للوحدانية بمواجهة الشرك والوثنية وعبادة الأصنام والديانات الشعبية لتعدد الآلهة، حافظاً للديانات التوحيدية التي سبقته لقيمها وعباداتها ومعابدها وحريتها وحقوقها، وبإقرارٍ قرآني بقدسية أنبيائها وكتبها السماوية.

فضّل بعض الملوك والساسة والباباوات والكهنة الكنسيون الغربيون بقاء الشعوب الوثنية على وثنيتها، على أن تدخل في الدين الجديد وتصبح شعوباً تدين بالتوحيدية الإسلامية، كما تمنى اليهود في الماضي أن تبقى الشعوب على وثنيتها وجهالتها من أن تصبح شعوباً مهتدية بالمسيحية. فالخوف كل الخوف مما جاء به الإسلام من عقيدة جهادية واستشهادية مقاومة للظلم والاستعمار والاحتلال التي ستلحق الضرر بالمصالح الغربية الإمبريالية بعد أن تحررت شعوبها من الطغيان وأصبحت هذه الدول تشكل طليعة للدول الاستعمارية والظلم والتسلط، فلا ضرورة بعد ذلك للحرية والانعتاق، ومن التبني للمبادئ المسيحية التي جاء بها المسيح (صلى الله عليه وسلم) قبل الإسلام المحمدي، فعذاباته واضطهاده مع تلاميذه ورسله ومعاناته على درب الآلام وصعوده الجلجلة ومقاومته للاحتلال الروماني واستشهاد الأنبياء يوحنا وزكريا وشهداء المسيحية الأولى في فلسطين وروما الوثنية وصلب المسيح وتعذيبه على الصليب، يتم اليوم التنكر لها وتجاهلها حين يتعلق الأمر بالمصالح المادية الغربية الإمبريالية الصهيونية، لتصبح الحضارة المسيحية الغربية مجرد ذكرى وهوية سياسية وتقليداً شعبياً احتفالياً يختزل باحتفالات عيد الميلاد ورأس السنة الميلادية.

اليهود وحدهم من حارب بحقد وكراهية وعنف البشارة المسيحية التي لم يعترفوا بها، بل اتهموا السيد المسيح (صلى الله عليه وسلم) بالتجديف ومريم البتول بالزنا والمعصية. والإسلام جاء مصدقاً ومكرماً لرسالة المسيح (صلى الله عليه وسلم) التوحيدية. لم يكن المسلمون على مسرح الأحداث حينما صلب اليهود والرومان الوثنيون يسوع وعلقوه على خشبة الصلب، ولا حينما ادّعى اليهود والرومان على لسان القديس بولص الأسير (مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى

خَشَبَةٍ): (اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»)[1].

أولئك هم الصهاينة (لعنهم الله بكفرهم قليلاً ما يؤمنون). والمسيح (صلى الله عليه وسلم) المناضل المقاوم المعذب المضطهد، جاء بثورته يحمل سيفاً مشرعاً لا سلاماً للغزاة والطغاة، بقوله: (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً)[2]، وللذين يجافون الحقيقة وهم يعلمون بها ويتحالفون مع أعدائها ينطبق عليهم اليوم قوله، ولا سيما معتنقي المسيحية المتصهينة: (وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ)[3].

ما علاقة المسلمين بدمار الهيكل الثاني ودعاوى (شتات اليهود)؟ فتاريخياً لم يتواجدوا على ساحة الأحداث. يقول المسيحيون إن دمار الهيكل نهائياً وشتات اليهود، إنما كان عقوبة إلهية بحقهم نتيجة لرفضهم البشارة والرسالة المسيحية الكونية، بينما يدعي اليهود أيضاً وعلى لسان أحبارهم وكتبتهم أن المسيحية سوقت ونشرت دعوتها على أنقاض اليهودية باختلاق قصة ألوهية المسيح وبشارته الكاذبة! كان ذلك قبل ستة قرون تقريباً من ظهور الرسالة الإسلامية.

لم تُحترم غربياً القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية، في الوقت الذي احترمت فيه القواسم المشتركة بين المسيحية واليهودية. والصراع اليهودي المسيحي كان صراعاً بين عهدين مختلفين تماماً (العهد القديم والعهد الجديد)، فلما قدّم الغرب المسيحي وكهنته وساسته هذه الخدمات للصهيونية وأطماعها التوسعية في فلسطين على حساب المسلمين والمسيحيين من الفلسطينيين، بإقامة دولة يهودية عنصرية. تحت عنوان (ولادة علم الآثار الكتابي) كتب سلبرمان: (من بين سائر نقاط علام القدس التي باتت مألوفة في العالم الغربي عن طريق كتب الرحلات واللوحات المائية لأوائل المستكشفين، فإن المنصة التذكارية المرفوعة المكللة بقبة الصخرة المذهبة والمسجد الأقصى القريب ذي القبة الفضية طالما ظلا يعتبران البؤرة المركزية لكنز أثري فريد وبالغ الأهمية، والاسم العربي لهذه الحوزة المقدسة (الحرم الشريف) لم

١- العهد الجديد رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 3: 13.
٢- العهد الجديد إنجيل متى 10: 34.
٣- العهد الجديد إنجيل لوقا 11: 52.

يكن إلا صدى لتبجيل المسلمين لصخرتها المقدسة، فالمكان ليس الهيكل اليهودي القديم فقط، بل ومنطلق رحلة محمد الليلية الإعجازية (المعراج) إلى السماء أيضاً)[1].

أجد هنا مدخلاً للنقد والتصحيح لما جاء به سلبرمان بشأن القدس والمعبد اليهودي السابق: القدس لم تكن يوماً سكنى لبني إسراءيل أو اليهود، ومنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ومنذ أكثر من خمسمئة سنة قبل ولادة يعقوب (إسراءيل) كان معبدها قائماً، وبني قديماً على يد الموحد لله الواحد (ملكي صادق) كاهن الله العلي الواحد الذي استضاف وبارك إبراهيم حينما حل ضيفاً في (أرض غربته)، حسب قول التوراة سفر التكوين 14: 18-19 والعهد الجديد سفر العبرانيين 7: 1، وبشهادة المؤرخين القدامى والمكتشفات والرقميات الأثرية: القدس، يبوس معبد اليبوسيين، مدينة أورساليم، مدينة السلام العربية الكنعانية اليبوسية وملكها الموحد الكنعاني ومؤسسها وباني أسوارها الملك مالك صادق الكاهن سليل يبوس بن كنعان بن سام بن نوح. وبخلاف ما جاء تحريفاً في الرواية التوراتية، فبنو إسراءيل قدر وقسم الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة دخول الموحدين المسالمين العابدين، وليس دخول الغزاة والقتلة للأنبياء والقديسين ليحولوا معبدها إلى ماخور للّصوص والمرابين وباعة الحمام والصيارفة، وللكهنة والمرابين الكاذبين ليكرسوا فيه الله من الإله العالمي إلى إله قومي خاص باليهود لا يعبد إلا داخل هذا الهيكل حيث الجباة من اللصوص الكهنة.

لم يسيطر اليهود على القدس يوماً، ولم تخلُ القدس من سكانها العرب اليبوسيين، ولم تكن يوماً مدينة لبني إسراءيل الطارئين عليها ولا مدينة ليهود العالم، وسكناهم فيها جاءت بحكم نزول الديانة الموسوية التي انقلبوا عليها وحرفوها، وهذا ما يقوله الأنبياء والحكماء المتأخرون من بني إسراءيل. بقيت القدس عربية يبوسية كنعانية، وسكنها أهلها من اليهود والمسيحيين والمسلمين العرب المشرقيين عبر الحقب المختلفة من التاريخ.

هل بنى بنو إسراءيل القدس أم دخلوا إليها غرباء طارئين عليها، غزاة طغاة ومحتلين؟

(وصل إلينا من أسماء ملوك أورساليم القدس غير الكاهن ملكي صادق الملك (عبد خبيا)، وهو الملك المقدسي الذي ورد اسمه في رسائل العمارنة ورسالته التي وجهها إلى فرعون مصر (أمنحوتب الرابع) أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة، والمسمى (أخناتون). وقد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين 1372-1358ق.م بدعوته لعقيدة التوحيد. ومن أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك (عبد خبيا) العون من ملك مصر لصدّ هجمات أهل البادية (العبيرو أو الهبيرو) أو (الخبيرو)، وهم العبرانيون أهل البادية الشمالية، ومنهم جاءت كلمة

١- نيل سلبرمان: (بحثاً عن إله ووطن) ص 79.

عبري التي شاع استعمالها خطأً للدلالة على اليهود في العصور التالية. وتدل جملة أقوال هذا الملك على طلب النجدة: (إن هذه الأرض أورسالیم، لم يعطني إياها أبي ولا أمي، ولكن يد الملك القوية هي التي تبنتني في دار آبائي وأجدادي، ولم أكن أميراً بل جندياً للملك وراعياً تابعاً للملك... ومنحت ملكية الأرض أورسالیم (القدس) إلى الملك للأبد، ولا يمكن أن يتركها للأعداء)[1].

نقل الباحث المتخصص بالمصريات روجرز رسالة الملك المقدسي عبد خيبا من آثار وأرشيف تل العمارنة الموثق تاريخياً للفترة (1372-1358ق.م) وعهد الملك أخناتون الموحد. في هذه الحقبة كان لا يزال بنو إسراءيل (يعقوب) يقيمون في الفردوس المصري دلتا النيل الخصبة، ويدّعى خروجهم توراتياً ما بين (1275-1300ق.م) تقريباً. تكشف لنا رسالة الملك عبد خيبا من ضمن رسائل العمارنة ومقارنة مع تاريخ وقصة الخروج من مصر وطلب الملك المقدسي الحماية والمساعدة لصدّ هجمات البدو الشماليين العبرانيين عن وجود أطماع عبرانية لمدينة القدس (أورسالیم) قبل نزول التوراة على موسى، وقبل اعتناق بني يعقوب لليهودية، مما يثبت قولنا بوجود أطماع استيطانية للقبيلة العبرية قبل بناء الهيكل الأول، وقبل ظهور الديانة التوحيدية بما يقرب من أربعمئة عام من بناء هذا الهيكل على يد الملك سليمان على الأقل. هذه الأطماع لم يكن لها أي علاقة بالتوحيد أو الدعوة الإلهية. في العام (1003ق.م) حاصرها الملك داود واستولى عليها. وفي العام (701ق.م) وبعد وفاة الملك سليمان حكم ملوك طغاة وفاسدون متعبدون لآلهة وثنية أخرى اضطهدوا سكان القدس الفقراء من اليهود والعرب اليبوسيين وغيرهم. وجاءت نهاية طغيانهم على يد الملك سنحاريب ملك آشور القادم من أرض الإمبراطورية في العراق وسورية عام 701ق.م، حيث امتد نفوذ وحكم هذه الإمبراطورية من الفرات إلى النيل.

مدينة القدس تاريخياً مدينة عربية مقدسة تعود ملكيتها الشرعية لسكانها من الوثنيين والموحدين يهوداً ومسيحيين ومسلمين عرباً، ويقتصر حق الآخرين فيها من معتنقي الديانات السماوية التوحيدية الثلاث على الزيارة وحرية أداء الشعائر الدينية والطقوس الروحية والحج، تماماً كما يمارس اليوم ملايين المسلمين من مسلمي العالم في مكة المكرمة والمدينة المنورة هذه الحقوق الدينية هناك، وسيختلف هذا المفهوم عندما تحاول اليهودية الصهيونية تهويدها عند المسلمين والمسيحيين على السواء.

1- R.WROGERS (coneirorm parallels-pp268-278-a- Jeremias-The Old Testemnt, IN, Lilght. of. East Volii p 27. G-BARTON ASKECH of Semitie ORIGINS pp 303-306.

وجاء في العهد القديم: (وَبَنُو بِنْيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بِنْيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ)[1].

استغلت الحركة الصهيونية العالمية اندماجها المنهجي مع طبقات المجتمع الأرستقراطي الربوي الإنكليزي اللوثري نجاحاتها. ولم تبقَ أسرة إنكليزية أرستقراطية أو إقطاعية حاكمة إلا وخالطها الدم اليهودي عبر ادّعاء التنصر لليهود، وعبر التزاوج بين أسر الأثرياء من اليهود والمسيحيين لمصالح تجارية أو لسلطة ونفوذ داخل الأوساط الحاكمة الإنكليزية. واستطاعت بذلك الصهيونية السيطرة على الكنيسة ومركز صنع القرار السياسي والمالي والإعلامي والدبلوماسي في الإمبراطورية البريطانية التي ارتبطت مع الحركة الصهيونية بمصالح مشتركة رأسمالية واستعمارية توسعية، حيث جُنِّد معظم ملوك إنكلترا لخدمة مصالحها مقابل خدمة مصالح بريطانيا أيضاً. التقت المصالح البريطانية الإمبراطورية الاستعمارية مع مصالح الحركة الصهيونية، فوضعت السياسة الإنكليزية الخطط والبرامج للسيطرة على فلسطين والمنطقة العربية برمّتها، وتحالفت للعمل على تفكيك الدولة العثمانية مع الأتراك ذوي الأصول الخزرية اليهودية الذين دخلوا الإسلام تستراً (يهود الرجعة، الدونمة)، الذين أسماهم السلطان عبد الحميد (جون ترك). وتم إيفاد مجموعات كبيرة منهم إلى أوروبا (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا). هذه الجماعة عرفت حكومة تركيا الفتاة، وتلقت العلوم والمعارف ومبادئ الثقافة الغربية ذات التوجهات الصهيونية، ثم عاد أفرادها إلى تركيا مزودين ومتأثرين بالأفكار الغربية العلمانية في ظاهرها. سيطرت هذه المجموعات على مفاصل الجيش والأوساط السياسية والفكرية. وجدت هذه العصبة في الإسلاميين الأتراك، والأرمن المسيحيين الشرقيين المحافظين، والمهرة الذين قد يتفوقون على اليهود الأتراك في التجارة والصرافة والسباكة والصناعة والمرتبطين بالأرض ارتباطاً مشرقياً ومسيحية شرقية، فاعتبروهم

١- العهد القديم سفر القضاة 1: 21.

معارضين وأعداءً خطرين ومنافسين يهدد تماسكهم ونفوذهم وتواجدهم المشروع الغربي الصهيوني بقيام الدولة
الحديثة العلمانية، فتم حبك المؤامرات والدسائس والتحريض لضرب عصفورين بحجر واحد: الادّعاء بأن المسلمين قد قاموا باضطهاد الأرمن المسيحيين من جانب، ولتحقيق الهدف النهائي بإبعادهم عن تركيا وبعض الأراضي الأرمنية من جانب آخر. وفي عام 1915 نُفِّذتْ الجريمة بدهاء عبر مذابح وفتن متبادلة وتطهير عرقي هدف إلى تعميم سياسة الترحيل الجماعي والتغيير الديموغرافي المنهجي لتغيير مفاهيم وثقافات المنطقة، ولإعادة تشكيل حدودها وخلق الكيانات الجديدة فيها، لتكون هذه الممارسات الوحشية مقدمة لصدور وعد بلفور البريطاني عام 1917 بإقامة كيان يهودي غربي على أرض فلسطين التاريخية وارتكاب المذابح والتطهير العرقي والترحيل الجماعي للفلسطينيين مثلما ارتكبت بحق الأرمن لا سيما الأتراك منهم، كمحصلة طبيعية لهزيمة الدولة العثمانية وإعادة توزيع تركتها عرقياً وثقافياً وجغرافياً، واعتبرت فلسطين من أهم تركات الدولة العثمانية، وبتخطيط مسبق ومرتب ما بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا، وبمباركة ودعم من القيصرية الروسية الطامعة في بسط نفوذها على الأراضي الأرمنية ومنطقة القوقاز برمتها. وهذا ما حدث مع الشركس أيضاً.

تم لعصبة تركيا الفتاة تحقيق أهدافها بإقصاء السلطان عبد الحميد الذي كان يرفض بشدة هجرة واستيطان اليهود لفلسطين، وتم تعيين شقيقه الذي كان يعيش في النمسا سلطاناً صورياً للدولة العثمانية، فأصبح ألعوبة بيد القوى الجديدة العلمانية الغربية (كانت العاصمة العثمانية لدى وصول باركر[1] إليها زاخرة بالإشاعات والشكوك في أعقاب اضطرابات أهلية وسياسية حادة، خلال فصل الصيف والخريف السابقين. ففي نيسان كانت مجموعة من الضباط الشباب مدعومة بقطاعات واسعة من الجيش وكتلة من الأهالي المتمردة قد أجبرت السلطان عبد الحميد على التنازل عن العرش لأخيه الضعيف غير الفعال محمد الخامس، وبدا مؤكداً أن نفوذ الإمبراطورية العثمانية الذي دام قروناً من الزمن قد تحطم أخيراً، وما من أحد يعرف ما يخبؤه المستقبل لها، غير أن الإجراءات الاعتيادية على الصعيد القانوني والإدارة قد باتت موجودة، فرسمياً على الأقل بقيت سياسة السلطان القديمة الخاصة بالآثار القديمة نافذة، وبالتالي كانت أعمال

١- باركر: ضابط بريطاني برتبة نقيب ترأس حملة التنقيب ضمن مشروع صندوق استكشاف فلسطين واستكشاف أرض الكتاب البريطانية الكنيسة التبشيرية الاستطلاعية.

التنقيب الأثرية البريطانية والأمريكية والألمانية في فلسطين لا تزال مطالبة باصطحاب مفوض عثماني يشرف على عملها. وكانت جميع اللقى المستخرجة لا تزال ملكاً للدولة، لكن باركر تمكن حتى في أجواء القسطنطينة (اسطامبول) التورية المشحونة بعدم اليقين من الانغماس في نموذجه الخاص من السياسة الشخصية والالتفاف على القانون، فبعد الاتصال سراً باثنين من أعضاء حكومة تركيا الفتاة[1]، قام باركر بعرض خمسين بالمئة من أي كنز قد يعثر عليه بالقدس مقابل ثقتهما ودعمهما الرسميين وقبولهما بالعرض وموافقتهما على المجيء إلى القدس بشخصيهما (كمفوضين رسميين). سارع المسؤولان التركيان إلى إيفاد مبعوث إلى حاكم القدس مع توجيهات تقضي بشراء جميع الأراضي الواقعة على السفوح الجنوبية لجبل الهيكل)[2].

استندت بريطانيا إلى جانب قوتها العسكرية ومستعمراتها المترامية الأطراف إلى منظومة استشراقية تبشيرية استكشافية متكاملة الخطط والتنسيق المشترك تعمل تحت شعارات ثقافية وعلمية وخيرية وأعمال إنسانية. ولا تقل خطورة هذه المنظومة عن خطورة القوة العسكرية الطاغية.

عملت هذه المجموعات المجندة على إشاعة الفساد، والفوضى وبث الإشاعات، وتفكيك الجبهة الداخلية، وتجنيد العملاء، وشراء الضمائر، وتعميق التنافرات العشائرية والطائفية والعرقية بين أبناء الأمة الواحدة المستهدفة من المستعمر. هذا ما قامت به البعثات البريطانية والفرنسية والأمريكية والألمانية لتفتيت وتفكيك المنطقة العربية لإقامة وطن قومي لليهود الغربيين على أرض فلسطين.

عملت الحملات التبشيرية الغربية في الأوساط المسيحية الشرقية والعربية في محاولات منها لتأليب هذه القوى الاجتماعية على مجتمعاتها ومواطنيها بأساليب الترغيب والترهيب، لتهجيرهم وترحيلهم خارج أوطانهم، وتحت ستار الإيفادات التعليمية والمنح الدراسية في محاولات يائسة لدمجهم ضمن عقيدة المسيحية الغربية وثقافتها الإباحية المادية، تماماً كما تفعل اليوم سلطات الاحتلال

١- حكومة عصبة تركيا الفتاة التي غلب عليها الطابع الغربي كنتيجة مباشرة لقدوم العدد الكبير من الأوروبيين للعمل لدى السلاطين، والذين ادعوا أنهم قد غيروا دينهم وأصبحوا أتراكاً مسلمين في وقت كان في السلاطين العثمانيين أصحاب رحمة معهم ويحترمون ويجلون جميع الأنبياء، لا سيما النبي عيسى (عليه السلام) وأمه مريم. ويعترفون بالديانات السماوية السابقة وقدسيتها.

٢- نيل سلبرمان: ص 278.

الأمريكي في العراق بالتعاون مع عملائها من الأحزاب الطائفية والعرقية الكردية التابعة العميلة التي لا علاقة لها بالأكراد العراقيين الشرفاء ولا تمثلهم، لتهجير المسيحيين الشرقيين العراقيين خارج حدود وطنهم، والاعتداء عليهم وتدمير ممتلكاتهم، لتحقيق توازنات عرقية وطائفية انتخابية لا علاقة لها بالدين والمعتقدات الدينية. يقول سلبرمان وتحت عنوان (آخر الحروب الصليبية): (عقد احتفالاً بالذكرى الخمسين لتأسيس صندوق اكتشاف فلسطين، علَّق فيه رئيس أساقفة كنتربري قائلاً: لن تتاح بعد الآن فرصة لدراسة ما تم جمعه من وثائق ومعلومات، ووجدنا حتى الآن أنها كانت صعبة الدراسة.

أما في ذلك الوقت فقد كان على مساعي صندوق اكتشاف فلسطين أن توضع تحت تصرف المجهود الحربي البريطاني. وفي كانون الثاني من عام 1916 طلبت وزارة الدفاع رسمياً من صندوق استكشاف فلسطين أن يعلق بيع جميع خرائطه ونشراته الجغرافية. وبادر قادة الصندوق للامتثال إلى هذا الطلب. وهم حين فعلوا ذلك إنما كانوا يعبرون عن امتنانهم الراسخ منذ أمد طويل للمهندسين الملكيين الذين أنجزوا هذا القدر الكبير من عملهم، ويتطلعون للوقت الذي سيتم فيه الاستكشاف البريطاني للأرض المقدسة دون تأخيرات رسمية طويلة)[1].

لم تكن أرض فلسطين يوماً بحاجة إلى الاستكشاف والمستكشفين، فهي ليست مجاهل أفريقيا البعيدة ولا أرض بكر خالية من السكان. وكانت على الدوام منارة ثقافية وروحية للعالم بدياناتها وثقافاتها المتعددة، فهي الحاضنة التاريخية للأديان التوحيدية. وقد بشرت بهذه الديانات، ولا سيما الديانة المسيحية، في وقت كان فيه البريطانيون والألمان والفرنسيون والاسكندنافيون يتعبدون الأشباح ومصاصي الدماء والشياطين، ويعتنقون خرافات الفايكنغ وأرواح أجدادهم ومشعوذيهم.

اعتنق بعض الأوربيين من القراصنة وقطاع الطرق والمنبوذين بين شعوبهم العقيدة اليهودية الصهيونية لأبطال أسطورة الخروج التوراتية التي تبنت القتل والسلب والنهب والحرق والاستيطان والاستعباد شريعةً ومنهاجاً. أصبحت هذه الأساطير سلوكاً ومعتقداً للمتوحشين المغامرين تحت ادّعاء اعتناق رواية (الكتاب المقدس).

(بادرت قوة الحملة المصرية في الجيش البريطاني بالدعم الكامل من جانب حكومة لويد جورج إلى الخروج من قواعدها في سيناء لدى حلول شهر كانون الثاني عام (1916). وقد اتبعت القوة الطريق التي اعتمدها نابليون بونابرت عام (1799م) ذاتها، فاحتلت رفح والعريش دون أن تواجه إلا القليل من المقاومة،

١- نيل سلبرمان ص 296.

وبالتالي فإن شبه جزيرة سيناء كلها باتت تحت السيطرة العسكرية البريطانية، غير أن ذلك النجاح بقي من دون فائدة فعلية ما لم تتوافر إمكانية احتلال الجزء الجنوبي من فلسطين أيضاً. وفي آب علمت القوات البريطانية أن تي أي لورانس (لورانس العرب) على رأس عصبة من البدو غير النظاميين، تمكن من الاستيلاء على ميناء العقبة وأسر المدافعين الأتراك. ولورانس هذا كان في العقبة من قبل. ومن المؤكد أن استكشافه الوجيز للمنطقة قد وفر أحد مفاتيح انتصاره. وعكف اللنبي على دراسة منشورات صندوق استكشاف فلسطين جنباً إلى جنب مع مكتبة واسعة من المؤلفات الكتابية والصليبية، حتى أصبح مع حلول فصل الخريف مستعداً لتنفيذ خطة جريئة. كسب البريطانيون مزيداً من الأرض في سائر أرجاء فلسطين الشمالية فارضين سيطرتهم على المناطق التي كان علماء الآثار قد أشبعوها اكتشافاً. وبعد التوجه شرقاً من يافا والتقدم للتوغل في أعالي مرتفعات يهوذا (القدس) وجه اللنبي قواته نحو التركيز على الهدف الرئيس (القدس)؛ أما المقدسيون السذج فرحبوا بكل ما استطاعوا من حماس بالجنود البريطانيين القادمين، وتطلعت كل واحدة من الجاليات بأمل التلبية الوشيكة لطموحاتها القومية، فالمسلمون المنتشون بنجاح الثورة العربية ضد الأتراك وبالتأييد البريطاني نظروا للقوات البريطانية القادمة نظرتهم إلى حماة دولة عربية مستقلة؛ أما الأكثرية الصهيونية من السكان اليهود فقد حيَّوا الغزو البريطاني بوصفه الخطوة الكبرى على الطريق إلى الوطن القومي الذي وعد به وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور قبل ستة أشهر؛ والجالية المسيحية التي طالما كانت رهينة بيد السلطة الإسلامية بادرت إلى رفع صلواتها الخاصة المشبعة بالارتياح، ثقة منها بأن الأماكن المقدسة لن تخضع ثانية لسيطرة الكفار)[1].

حقق التحالف العربي (الشريف حسين) البريطاني، والتحالف التوراتي الصهيوني للإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية غاياته بتحقيق أطماعهما الاستعمارية والصليبية التوراتية التي ساعدت على هزيمة الإمبراطورية العثمانية المتداعية، دون أن ننسى جهود العصبة التركية اليهودية وتحالفها مع الغرب الاستعماري للسيطرة على الأرض العربية، ولتحقيق حلم قيام الدولة اليهودية الصهيونية كقاعدة متقدمة وثابتة لحماية المصالح الاستعمارية وتحقيق الطموحات الإمبريالية والرأسمالية، ضمن برنامج مُخطَّط ومدبر أيديولوجياً دينياً توراتياً وتلمودياً لمعتنقي المسيحية الصهيونية. يقول الكاتب الصهيوني إيلي ليفي أبو عسل: (قلنا إن موسى كان أول من شيَّد صرح الصهيونية ووطد دعائمها، ونشر

١- نيل سلبرمان ص 298-299، 301.

مبادئها السياسية. وقد أثبت لنا الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة حلقات متصلٌ بعضها بالبعض الآخر اتصالاً متماسكاً وثيقاً، متواثقة أجزاؤها تماسكاً شديد الإحكام... فلو أجّلنا نظرنا في مشروع موسى لاستشفاف ما انطوى عليه من إدراكه، والمناهج التي انتهجها في سبيل تحقيقه، لوجدناه يكاد يكون متطابقاً في معناه ومبناه لتعاليم هرتزل ونظرياته التي جلّ مرماها إظهار الأمور التي لا مندوحة من أن يوصم بها اليهود والعار الذي يرتدونه إذا ظلوا واجمين واجفين. كل هذه الزواجر تميط اللثام وتظهر لنا أن الخطط التي رسمها هرتزل كانت على وتيرة واحدة مع التي وضعها موسى)[1].

محاولة الصهيوني أبو عسل بالمقارنة ما بين رسالة موسى الهدائية وتعاليم هرتزل العنصرية التلمودية لا تستغبي إلا أصحابها الذين يتبنونها اليوم من اليهود الصهاينة وحلفائهم من القوى الغربية العنصرية. وهي محاولة تحمل في طياتها رفضاً ضمنياً لدعوة موسى الهدائية وخروجاً عليها وعدم القبول بها كما أمر الله موسى بها. وتكشف هذه الادّعاءات من جهة أخرى عن صحة الحقائق التي أوردناها في الفصول السابقة، من أن بني إسراءيل الخارجين من مصر مع موسى قاموا بإقصائه وقتله، لأن تعاليمه لا تلبي الطموحات العدوانية التي انفرد بها العبرانيون واستخدموها بحق الشعوب الأخرى غير العبرية. وتظهر مغالطات الكاتب الصهيوني تبنياً لمفهوم الشعب المختار وأرض الميعاد ليهود العالم، حتى ولو كان أولئك اليهود من الملحدين أو الوثنيين، أو ينتمون إلى أمم مختلفة؛ إنها الصهيونية السياسية العنصرية.

قبل متابعة تفاصيل أخرى في هذا البحث، لا بد من تسليط الضوء على الفارق الكبير بين ديانتين مختلفتين ضمن نصوص العهدين القديم والجديد في (الكتاب المقدس)، وبين إلهين مختلفين ضمن نصوص هذا الكتاب.

بدايةً هناك فارق كبير بين الديانة اليهودية الوراثية وبين الديانة المسيحية الهدائية الكونية المتسامحة. ويبدو لنا أن العهدين القديم والجديد يشكلان خطين متساويين لا يلتقيان. أراد بعض المتصهينين من أدعياء المسيحية لهما أن يكونا نهجين متحدين ومتجانسين لا ينفصلان.

يقول المؤرخ الروسي ليف غوميليوف بهذا الشأن: (إن الفرق بين إله العهد القديم وإله إنجيلٍ صاغه الأطهار من البولوصيين والمسيحيين الغنوصيين أن

١- إيلي ليفي أبو عسل: يقظة العالم اليهودي ص 22-24 إصدار 1934 القاهرة.

الأول حرم البشر تذوق شجرة الحياة، أما الثاني فقد وعد (مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ. مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ)[1]؛ الأول يعظ بالعزل عن الأجناس والتكاثر حتى أطراف المسكونة، والثاني يحرم حتى النظرة الآثمة للمرأة؛ الأول يعد بمكافأة بالأرض والثاني بالسماء؛ الأول يفرض الختان وقتل المغلوبين، والثاني يحرم هذا وذاك؛ الأول يلعن الأرض، أما الثاني فيباركها؛ الأول يندم لأنه خلق الإنسان، أما الثاني فلا يبدل عطفه؛ الأول يأمر بالانتقام، والثاني بالغفران للمعترفين؛ الأول يطلب ذبائح حيوانية، والثاني يعرض عنها؛ الأول يعد اليهود بالربا (وهذا يعني الرأسمالية)، والثاني يحرم امتلاك المال بغير إثنوس الجبين (عرق الجبين) من غير كسب بالعمل. اعتبرت الغنائم الحربية في ذلك الزمن كأجر لقاء مخاطرة جريئة. في العهد القديم يحرم لمس تابوت العهد وحتى الاقتراب منه، وهذا يعني مبادئ الدين السرية بالنسبة لجماهير المؤمنين، أما في العهد الجديد فدعوة الجميع إليه؛ في العهد القديم ملعون من يعلق على خشبة وهذا يعني الإعدام، في العهد الجديد موت المسيح على الصليب والقيامة؛ في العهد القديم نير الشريعة لا يحتمل، في العهد الجديد نير المسيح هين وحمله خفيف)[2].

تعد ثقافة السيد المسيح السورية الشرقية أساس الدعوة المسيحية بعاداتها وتقاليدها. وكانت بلاد الشام منبعها وقاعدة انطلاقها وانتشارها. ولسان حال أرباب الكنيسة الشرقية يقول: (إنجيلنا لا توراتهم)[3]؛ ومسيحنا جاء هادياً ومصوباً ومكملاً ومقوماً ما ارتكبه اليهود من خروج وتنكر لشريعة موسى. كان يسوع متسامحاً رحيماً عادلاً مسالماً، رافضاً للظلم والقتل والاغتصاب وعبودية الآخر. وجاء في القرآن الكريم شاهداً ومصدقاً ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]. الوصف القرآني يميز بين اليهود والنصارى الذين يحسنون التعامل بالأمانة والصدق وبما دعا إليه السيد

١- العهد الجديد رؤيا يوحنا اللاهوتي 2: 7.

٢- ليف غوميليوف: (اكتشاف خازاريا) ص 289-290.

٣- تنبه أحرار المسيحية والكثير من الباباوات في الماضي إلى الخطاب المشبوه الذي يتبنى وحدة العهدين القديم والجديد، والذي تتبناه جماعة فرسان مالطة والماسونية بهدف الإساءة للسيد المسيح (ﷺ)، وكذلك ادّعاء داون براون في كتاب شيفرة دافنشي، ومحاولات اليهودية الصهيونية للتسلل إلى المسيحية لتهويدها وتحريفها عن مسار المسيحية الحقة.

٤- القرآن الكريم سورة آل عمران الآية 75.

المسيح (صلى الله عليه وسلم) لمكارم الأخلاق والأمانة وحسن الجوار والتعامل، بينما يتعامل اليهود بالغش والاغتصاب إذا رفع عنهم سيف الحق والقوة، ويدَّعون أن التوراة أباحت لهم سلب الآخر وغشه والاحتيال عليه لأنه من غير اليهود، وأن السلب والاغتصاب هي حقوق إلهية مكتسبة للشعب المختار المقدس. ويبين الله في القرآن الكريم الفارق أيضاً بين التقوى المسيحية وبين الفسوق في التصرفات اليهودية، بقوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ۞﴾[1]. يظهر بوضوح التركيز القرآني على البعث والقيامة (يؤمنون بالله واليوم الآخر)، وهي إشارة واضحة لما أثبته في فصول سابقة من أن الرواية التوراتية تتحدث عن ملكية أرضية بحتة وتتنكر إلى أي ثواب أو عقاب إلهي بعد الموت، فلا قيامة ولا بعث ولا ذكر بالمطلق لليوم الآخر، كما في العهد الجديد والمسيحية؛ أما المسيحيون التوراتيون فيدّعون أن مملكة الله الأرضية هي (إسرائيل)، وأن للمسيح مملكة أخرى سماوية، وهو ادّعاء جاهل يبرر للصهاينة تأسيس مملكة يهودية بين الفرات والنيل، ولا تتم عودة المسيح والألف السعيدة إلا إذا قامت هذه المملكة بحسب الخرافة العبرية. وبناءً على ذلك، فإنهم يحاولون امتلاك القرار الإلهي والتحكم بقدرته عبر خلق هذه المملكة بالقوة والإرهاب والخروج على شريعة المسيح وإنجيله، بزعم معركة هرمجدون المتبناة من داخل الرواية التوراتية المحرفة. يحذر الله بني إسراءيل القدامى ومن اتبع زيغهم وضلالهم من اليهود في سورة الإسراء 7-10 من عدوانهم ونكرانهم لليوم الآخر بقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً۞ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً۞ وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً۞﴾[2]. وميز الله تعالى أيضاً بين دعوة العهد القديم المحرفة وبين دعوة

١- القرآن الكريم سورة آل عمران الآيات 113-114.
٢- القرآن الكريم سورة الإسراء الآيات 8-10.

العهد الجديد والفارق الكبير بينهما، بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ۞﴾[1].

استفادت واستنارت أوروبا أثناء عصور انحطاطها وظلماتها وجهل أحبارها وكهنتها وإماراتها وممالكها الإقطاعية المتسلطة والمتعالية على شعوبها وفقرائها من حضارة الشرق وحكمته وتفوّق علوم ومعارف فلاسفته وأطبائه ومفكريه ومترجميه. وتتلمذت وتهذبت أوروبا الظلامية بخرافاتها وشعوذتها ومحاكم تفتيشها وحرق العلماء من مواطنيها، على يد ابن رشد وابن خلدون والفارابي والخوارزمي وابن سينا والرازي، وغيرهم الكثير. وبنت أسس نهضتها وقيامها على علوم ومبادئ علماء الشرق المستنير وحكمته، التي كرسها الأنبياء العظام أبناء هذا الشرق (عيسى ومحمد) عليهما الصلاة والسلام، من محبة وتعاون وتعايش وتسامح شكل حضارةً مشرقيةً وتراثاً إنسانياً معرفياً ومثالاً أخلاقياً لتمازج الحضارات الإنسانية وتعاونها. يقول المثقفون الوجدانيون بهذا الشأن: (اختتمت مؤخراً بمدينة سيفر الفرنسية فعاليات أسبوع ثقافي حول التعايش بين أبناء الديانات السماوية الثلاث الذي نظمته (جمعية حوار يهود ومسيحيين ومسلمين) المحلية، بالتعاون مع عمدة المدينة ومعهد العالم العربي بباريس. واختاروا لها شعاراً (الأندلس). وتضمنت الفعاليات معرضاً للتراث الإسلامي اليهودي المسيحي إبان الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية في الفترة من (732-1494م). وقالت ماري أودين لافوس مارين إحدى مؤسسات جمعية الحوار: (إن الهدف من المعرض هو إبراز تجربة الأندلس الفريدة التي تميزت بدقة عالية في التسامح الديني والتعايش الودي بين أتباع الديانات التوحيدية). وأضافت أن الأندلس لا تزال نموذجاً رائعاً يمكن أن نستلهم منه الكثير لتحسين العلاقات بين أبناء الديانات السماوية في مدينتنا وفي فرنسا قاطبةً. واعتبرت مارين، وهي مدرسة

١- القرآن الكريم سورة المائدة الآيات 82-83.

كاثوليكية، أن المعرض (يظهر بجلاء أن المسلمين ليسوا غرباء في أوروبا)، لأن إسهامات علمائهم وفلاسفتهم وأدبائهم وفنانيهم كانت رافداً أساسياً للنهضة الأوروبية.

أما عالمة اللاهوت جنفيف كامو فقالت إن الحوار بين أبناء الديانات السماوية يجب ألا يهدف إلى تحويل الآخر عن دينه، وإنما معرفته على نحو أحسن وأكمل. وأيّد هذا الطرح محمد الجندي الخطاط المصري المقيم بفرنسا، مؤكداً أن الجهل المطبق بالآخر سبب أساسي في النظرة السلبية للإسلام الموجودة في الغرب. وبعض الزوار الذين قرؤوا ترجمة الآية القرآنية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، الّتي كتبتها في إحدى لوحاتي لم يصدقوا للوهلة الأولى أنها وردت في كتابنا الكريم)[2].

يعد الخلط المعرفي بين اللاهوت والتاريخ اتهاماً مبرراً يطلق على العديد من الكتّاب والباحثين الغربيين للدراسات الكتابية، واللاهوتيين الذين حاولوا ويحاولون إيجاد المبررات ورتق الفجوات وردم هوة التناقضات الصارخة الفاضحة التي اعترت الرواية الكتابية العبرية المتبناة من قبل كهان وأحبار وساسة الغرب المادي، عبر الخلط بين التاريخ واللاهوت، وبوضوح أكثر الخلط بين التاريخ والأسطورة، لتبرير وتمرير سياسات وممارسات استعمارية عدوانية بحق الشعوب غير التوراتية والتلمودية؛ فهل انبرى وتطوع المفكرون والمؤرخون وعلماء الدين من مسلمين ومسيحيين ومؤرخين عرب ومشرقيين للتصدي وفضح هذه الإرهاصات والتخرصات لبعض الدراسات الكتابية المتحيزة والمضللة التي تطلقها قوى المسيحية المتصهينة والأنجلوساكسونية، أم أن الكثير منهم انصاع وتبنى النمطية الغربية الناشطة والموجهة بتبشيرها واستشراقها للمنطقة العربية والإسلامية، وتعاطى معها كحقيقة كتابية وقدرية وواقع حال لا يمكن الوقوف بوجهه أو التصدي له، بدلاً من أن يتبنى العمل على إيجاد منظومة

١- القرآن الكريم سورة الحجرات الآية 13.

٢- جريدة تشرين السورية: يحدث هذا في العالم - العدد 10192 تاريخ 2008/4/13.

مؤسساتية تعنى بالدراسات الكتابية وإيجاد الآلية التي تمكننا من كشف زيف هذه الدعوات المنحازة والخرافية لمدرسة علم اللاهوت الغربية؟

يسلط الدكتور أحمد برقاوي الضوء على هذا الجانب المهم من الموضوع بشكل مختصر تحت عنوان (التاريخ بين الأسطورة والواقع)، بقوله: (إذا كانت الأسطورة متخيلاً إنسانياً لأحداث لا تنتمي إلى المعقول ولا إلى الواقع المحكوم بعلاقات سببية واقعية موضوعية، فإن المؤرخ العربي الإسلامي لم يكن قادراً على التمييز بين الأسطورة والواقع دائماً. وتعامل مع الأساطير على أنها وقائع حدثت فعلاً. والسبب الأساسي في ذلك أن وعيه التاريخي لم ينفصل عن وعيه الديني، ولهذا تعامل مع القرآن والتوراة كمرجعين تاريخيين: التوراة بما تتضمنه من أساطير حول العالم وتاريخ اليهود، والقرآن بما تضمنه من قصص الأنبياء؛ فالتوراة شكلت مرجعاً أساسياً لدى جميع المؤرخين الإسلاميين، وهم يؤرخون لمرحلة ما قبل الإسلام بدءاً من تاريخ البشرية حتى آخر ملوك بني إسراءيل، بل إن بعض المؤرخين الأوربيين لا يزالون يرجعون إلى التوراة لرصد تاريخ المنطقة، ولكن وفق تعامل جديد بعد تحريره من الأسطورة. وإذا كان هناك ما يبرر عودة المؤرخ الإسلامي للتوراة مرجعاً، فإن العودة إليه الآن بعد الكشوفات الأثرية وفك رموز اللغات القديمة وتطور منهاج البحث التاريخي، ليس له ما يبرره إطلاقاً. نعم، لقد انتقلت أساطير التوراة إلى كتب التاريخ العربي الإسلامي، بوصفها تاريخاً ووقائع، دون أي إعمال نقدٍ لهذه الأساطير، وآية ذلك أن المؤرخ الإسلامي، إضافةً إلى وعيه الديني بالعالم، لم يجد أمامه إلا هذا المرجع ليسدّ الفراغ في معرفته تاريخ المنطقة، هذا من جهة، ولأنه اعترف باليهودية كدين سماوي من جهة ثانية، إلى الحد الذي تعامل فيه مع أكثر ملوك (إسراءيل) بوصفهم أنبياء)[1].

أعتقد أن هذا النقد بنّاء ومقنع، وهو موجه لبعض المفكرين والعلماء، وبينهم بعض رجال الدين، الذين اعتمدوا على تفاسير الكهنة والأحبار والكتاب اليهود، الذين سبقوا ظهور الإسلام أساساً ومرجعاً للتفسير والتأويل للكثير من الأحداث التاريخية والقصص القرآنية والتوراتية والإنجيلية.

يعد قصور البحث العلمي للواقع التاريخي سبباً أساسياً لتقديس الرواية الكتابية، ولاستمرارها كموروثٍ شعبي أقنع الكثير من الناس من عربٍ مسلمين

١- د. أحمد برقاوي: (التاريخ بين الأسطورة والواقع) مجلة الأمل - دمشق - العدد الأول 2008.

ومسيحيين لسنين عديدة، لا يجوز نقدها أو التطاول عليها. وثبت أن هذا الموروث الأسطوري غير العلمي ما هو في الواقع إلا من (الإسرائيليات) المدسوسة عن طريق أحبار وكهنة اليهود داخل المفاهيم المسيحية والإسلامية!

وهناك من تعاطى مع هذا الموروث بجهالة وقصور معرفي، والبعض الآخر، وللأسف، انتهجها كحالة مرضية. هذه الحالة المرضية أنتجها البعض من (شيوخ ومفتي وكهنة السلطان)، التابعين والموظفين في مدرسة ومنظومة الأمير والحاكم والسلطان، المهللين لجوره وطغيانه وجهله، والذين يعملون على تسويق خطابه السياسي على حساب الخطاب القومي، متناسين الأخطار التي تهدد الأمة ومصالحها، ومتنكرين للرسالة الهدائية والأخلاقية الملقاة على عاتقهم دينياً وقومياً، فشكلوا بذلك جوقة من المتشددين الردّاحين والمغنين لموبقات الحاكم والسلطان وسياسته المعادية لتطلعات شعبه وقضاياه المصيرية، عاملين على حثّ الجمهور للاستكانة والخضوع لمشيئة الحاكم، وعلى هدم فرائض الجهاد والمقاومة وتقزيم تعاليم الدين الحق، وحث الناس على الاهتمام بالأمور الحياتية والتعبدية الفردية والطاعة العمياء للحاكم.

الفكر العصبوي الساذج والسطحي الذي يخلط بين الدين وتعاليمه السمحاء وبين السلطة والتسلط وعربدة الجاه والبذخ الدنيوي الفاضح هو ما دفع باتجاه التملق والاستعانة بالمحتل المستعمر، ووحده من سوّغ ويسوّغ للملوك والأمراء والرؤساء والسلاطين إشادة الأسوار والحواجز الحديدية بين أولئك الحكام وشعوبهم، عاملين على تجهيلها وإرهابها وإخضاعها لمشيئتهم السلطوية. وتتشابه هذه الممارسات والتصرفات مع ما قام به بعض سلاطين الدولة العثمانية في أواخر عهدها عندما استطاعوا تحويلها من إمبراطورية إسلامية عادلة وشابة وثورية وإنسانية إلى سلطنة متهاوية وُصِمتْ في نهاية عهدها بأنها كانت سلطة الجاه والحريم والجواري والبذخ والتسلط دون حساب وتقدير لوعي الشعوب وتطلعاتها نحو الحرية والتقدم والتطور ومواكبة حركة التاريخ وحتميته المتجهة صعوداً نحو التغيير والانعتاق لتحقيق الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة ونبذ التسلط والعبودية.

التسلط والفساد الذي شاب أواخر حكم الإمبراطورية العثمانية خلّف دماراً وكارثة وطنية وإنسانية لكامل المنطقة العربية. ومكّن الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا، ومعهم وليدتهم الإمبريالية الأمريكية من السيطرة على كامل المنطقة وتقسيمها وخلق الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وخلق كيانات أخرى هزيلة متخلفة تابعة وتسلطية رهنت إرادتها لمشيئة المستعمر مقابل تربعها على عرش السلطة وترف وسطوة عشائرها وتابعيها.

الإسلام الحنيف كما نفهمه ويفهمه العلماء الأفاضل لهذه الأمة، هو الإسلام المستنير المتحضر المتسامح الذي يحاور ولا يكفّر، يقرب بين الناس ولا يُبعد، ويسعى لبناء مجتمعٍ متسامحٍ محبٍّ ومتعاونٍ، ثوري مقاوم ومواجه لا مهادن ولا متحالف، متعدد ديمقراطيٍ حرٍّ مشرقي.

يسلط الدكتور مصطفى بوهندي، أستاذ علوم الأديان المقارنة، الدار البيضاء، المغرب، الضوء على طبيعة العلاقة التوحيدية بين الأديان السماوية وموقف الإسلام منها الذي لا يكفر ولا ينسخ شريعة سبقته بل يكملها، بقوله: (فالرسل يصححون الوضع، ويردّون الأمور إلى نصابها بعد حالات الاستثناء، والتي إنما تكون بما كسبت أيدي الناس. والرسول محمد (صلى الله علبه وسلم صحح الوضع نهائياً عندما قال الله سبحانه: (..*أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً..*)[1].

إن نسخ الشرَيعة اللاحقة للشريعة السابقة لا يؤخذ على إطلاقه، فعيسى ابن مريم آتاه الله الإنجيل، وكان مصدقاً لما بين يديه من التوراة؛ ومحمد (صلى الله علبه وسلم آتاه الله القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمناً عليهما، وتصديق القرآن إنما كان لما في التوراة والإنجيل من الحق، فالقرآن يشهد بصحة وصدق ما جاء به الأنبياء قبله في التوراة والإنجيل. وهيمنة القرآن تقضي أمرين: الأول: إكمال ما لم يكتمل من الدين إلا بالرسالة المهيمنة الخاتمة، لأن البشرية لم تكن بعد مهيأة لتقبل الدين الكامل، والثاني: تصحيح ما طرأ من انحراف في الدين بسبب تدخل الأحبار والرهبان لأمد طويل، والظروف المختلفة، وبيان ما كتموه وما اختلفوا فيه وما حرفوه عن مواضعه، وتسطير القواعد المنهجية المانعة لوقوع مثل هذه الانحرافات،

١- القرآن الكريم سورة المائدة الآية 3.

وكذلك اكتشافها، وغير ذلك مما جاء القرآن مبيناً له. هذا ولا يمكننا أن نعتبر أن كلمة آية تعني (شريعة)، وأن نسخ الآيات يعني (نسخ الشرائع). ولن يدّعي أحد أن بني إسراءيل قد سألوا موسى من قبل أن يأتيهم شريعة من خلال قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[1]، بل يتفق الجميع على أن ما سأل قوم موسى رسولهم كان آية، وهو سياق الآيات المستدل بها على النسخ، وعليه فالنسخ في النصوص المستبدل بها عليه لا تدل على نسخ الأحكام في القرآن، ولا على نسخ الشرائع، إنما نسخ آيات المرسلين بعضها ببعض إلى أن جاءت الآية الكريمة الخاتمة فكانت البديل الثابت إلى يوم القيامة)[2].

هذا هو موقف الإسلام من اليهودية والمسيحية، لا نسخ لشريعة موسى وعيسى (عليهما السلام). ونسخ الآيات واستبدالها بمثلها أو خير منها جاء في صلب رسالة عيسى ابن مريم عندما خاطب اليهود بقوله، وهي إحدى الأمثلة: (❁وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ ❁وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي)[3].

فنسخ المسيح (صلى الله عليه وسلم) لآية في شريعة موسى لا يعني نسخ الشريعة كلها. وجاء هذا التعديل في الآية استجابة لضرورة الإصلاح الاجتماعي في زمن التعديل، وبسبب تعدد المطلقات والزوجات لدى بني إسراءيل. وتقول التوراة إن سليمان تزوج ألفاً من الزوجات والسراري.

شارك الرئيس الأمريكي بوش الإسرائيليين احتفالاتهم في شهر أيار 2008 بالذكرى الستين لقيام الدولة اليهودية. وجدد من فلسطين المحتلة دعوته الصهيونية التوراتية (بيهودية الدولة). وما يثير الدهشة والاستغراب أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتفل أيضاً في شهر أيار بالذكرى الأربعمئة لقيام أول مستعمرة استيطانية إنكليزية في القارة الأمريكية في أيار من السنة الماضية، كما احتفلت مع الأمريكيين الملكة البريطانية بمناسبة مرور أربعة قرون على الاستيطان الأنجلوساكسوني لأول مستعمرة هناك في (أيار 1670)، حيث ألقى الرئيس بوش

١- القرآن الكريم سورة البقرة الآية 108.
٢- الدكتور مصطفى بوهندي: (التأثير المسيحي في تفسير القرآن الكريم) 56-57.
٣- العهد الجديد إنجيل متى 5: 31-32.

الصغير خطابه بقوله إن أجداده قدموا إلى أمريكا لنشر قيم الديمقراطية والحرية وإنهم نجحوا في ذلك. إنها الادّعاءات والأكاذيب نفسها التي تشدق بها الرئيس الأمريكي بوش عند احتلاله أفغانستان والعراق، حيث شهدنا بركات حريته وديمقراطيته هناك، كما نشرها أجداده بحق السكان الأصليين لأمريكا، وكما طبقها الغزاة الفرنسيون والبريطانيون في كل من الجزائر وفلسطين، التي ادّعوا أنها ستكون واحة للديمقراطية والحرية الغربية والسلام في منطقة الشرق الأوسط، وحتى قبل التمكن من احتلال فلسطين وقيام الدولة العنصرية هناك. كتب الإرهابي الصهيوني دافيد بن غوريون إلى موشى شاريت منذ شباط عام 1948، قبل اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية بثلاثة أشهر، ومن مذكرات ابن غوريون التي كتبها في الأسبوع الأول من المعارك، في 24 أيار: (سوف نقيم دولة مسيحية في لبنان... وسوف نحطم شرق الأردن ونقصف عاصمتها وندمر جيشها، وسوف نجعل سوريا تركع، وسوف تهاجم قواتنا الجوية بور سعيد والاسكندرية والقاهرة من أجل أن نثأر لأسلافنا الذين اضطهدهم المصريون والآشوريون في العصر التوراتي)[1]. يقطف الفلسطينيون في العصر الحديث، اللاجئون والرازحون تحت الاحتلال والحصار الصهيوني، ثمار حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية الغربية؛ وتُقطفُ أرواحهم بالمذابح والإبادة الجماعية بالأسلحة المحرمة دولياً، والعقوبات بالموت جوعاً وحرقاً وحصاراً، وبتقطيع أوصال أطفالهم ونسائهم أمام أعينهم على مرأى من العالم الغربي المتحضر الصامت والمتواطئ مع العدوان الإسرائيلي والمساند له مادياً وعسكرياً وأممياً وإعلامياً بكل صفاقة وصليبية توراتية معلنة، لكن غزة العزة ستنتقم لشهدائها وجرحاها ومشرديها بالطريقة المناسبة للرد على حجم هذه الجريمة من كل المنفذين والممولين والمتواطئين والمخططين والصامتين. وإن غداً لناظره قريب!

قام الإرهابي جورج بوش بتدمير أفغانستان وفلسطين والعراق وأجزاء من لبنان، انتقاماً إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأمريكيين هم ضحايا أحداث

١- إعداد وترجمة الأستاذ غازي أبو عقل (إسرائيل قبالة تاريخها - نصر مبين لمدرسة المراجعة التاريخية - مجلة الأمل - العدد 2 - شتاء 2009.

الحادي عشر من أيلول، المنفذة بتواطؤ أمريكي وتراخٍ مفتعل. كيف سيثأر العرب والمسلمين من قادة الغرب وأمريكا انتقاماً إلى أكثر من مليون ونصف المليون شهيد سقطوا ضحايا الإرهاب الأمريكي في العراق ولبنان وفلسطين؟ كيف سيكون هذا الردّ والاستنصار للضحايا؟ وهل هناك من أسلوب آخر لهذا الرد بغير الصمود والمقاومة؟